دلائل النبوة العقلية

ثلاثون دليلا عقليا على نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم

تأليف

ماجد بن سليمان الرسي

١٤٤٧ هجري،

الموافق ٢٠٢٦ ميلادي

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد:

فإن من رحمة الله بعباده أن أرسل لهم الرسل لتدلهم على الغاية التي خلقوا من أجلها ، وهي عبادته عز وجل ، قال تعالى:(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)[1] ، وقال تعالى:(وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)[2].

ومن رحمة الله بعباده أيضا أن أيَّد رسله عليهم الصلاة والسلام بالبينات الدالة على صدقهم ، قال تعالى:{لقد أرسلنا رسلنا بالبينات}[3] ، وهذه البينات تعتبر دلائل ظاهرة وحجج قاطعة لهم على أنهم رسل من عند الله حقا ، لأن تلك البينات ليس في طوق البشر أن يأتوا بمثلها ،كعصا موسى مثلا ، وإحياء الموتى لعيسى عليه السلام ، وإخبار النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ببعض الغيوب المستقبلية التي تحققت في حياته وبعد مماته ، وكذلك معجزة القرآن الكريم ، وغيرها كثير من الدلائل الدالة على أن أولئك الرسل قد أرسلهم الله تعالى حقا.

والعلم بالدلائل النبوية يُثبت فؤاد المؤمن على الحق ، ويزيده إيمانا بالله تعالى.

---

١ سورة الطور: ٥٦ .

٢ سورة الأنبياء: ٢٥ .

٣ سورة الحديد: ٢٥ .

وقد صنف أئمة الحديث كتبا عدة في دلائل نبوة محمدا (صلى الله عليه وسلم) ، وذكروا فيها المئات من الدلائل الثابتة عنه (صلى الله عليه وسلم).

وقد يسر الله إعداد بحث في هذا الموضوع بعنوان «مِسكُ الأُلَّوَةِ من دلائل النبوة».

وفي هذا البحث التابع للبحث المتقدم ذكره جمعت البراهين العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) ، ووسمته «البراهين العقلية الثلاثون على نبوة محمدٍ (صلى الله عليه وسلم)»، ذكرت فيه الدلائل المعلومة بالعقل والمنطق على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم)، وهو بهذا يختلف عن البحث الأول في أن البحث الأول فيه ذكر الدلائل الشرعية، وهذا فيه ذكر الدلائل العقلية، وبينهما تقارب، لأن الدلائل الشرعية تعتمد على العقل، والدلائل العقلية تعتمد على النصوص الشرعية.

وصلى الله وبارك على نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

وكتب ماجد بن سليمان الرسي

صبح الثالث من شهر جمادى الآخرة لعام ١٤٤٧ هجري.

majed.alrassi@gmail.com

هاتف: ٠٠٩٦٦٥٠٥٩٠٦٧٦١

المملكة العربية السعودية

دلائل النبوة العقلية

الدليل الأول: تجافي النبي (صلى الله عليه وسلم) عن حظوظ النفس ومتاع الدنيا، وفيه خمس مسائل؛

الأولى: تجافيه عن بهرج الحياة

الثانية: تجافيه عن أن يكون له حظوة وأبهة بين الناس

الثالثة: أن الله خيره بين المُلك والنبوة وبين أن يكون عبدا رسولا فاختار الأخرى

الرابعة: أن قبيلته قريش كانت تمنيه بجعله ملكا عليهم وتساومه على ذلك ليتخلى عن دعوته فيرفض

الخامسة: أنه دعا لعبادة الله ولم يدع لعبادة نفسه، ولم يخلع على نفسه شيئا من صفات الربوبية ولا الألوهية

****

بسم الله، والحمد لله، والصلاة السلام على جميع رسل الله، أما بعد:

١. من الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) **أنه كان متعففا عن بهرج الحياة**، فلو لم يكن نبيا لطمع في متاع الدنيا بجميع أصنافه، وبيان ذلك أنه (صلى الله عليه وسلم) عاش مسكينا، لم يكن غنيا، ولم يجعل لأهل بيته ميزة على غيرهم، بل حُرِّمت عليهم الصدقة، وكان بيته من طين، وكان يحلب شاته، ويخيط نعله، ويرقع ثوبه.

- أما الطعام فقالت زوجه عائشة رضي الله عنها: إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال، ثلاث أهلة في شهرين، وما أوقدت في أبيات رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نار.

فقال عروة بن الزبير: يا خالة، ما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان؛ التمر والماء، إِلَّا أَنَّه قدْ كانَ لِرَسولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ جِيرَانٌ مِنَ الأَنْصَارِ، كَانَتْ لهمْ مَنَائِحُ، وكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مِن أَلْبَانِهِمْ، فَيَسْقِينَا.[١]

- ودخل مرة عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ على رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وهو على حَصِيرٍ ما بيْنَهُ وبيْنَهُ شَيءٌ، أي ليس هناك فرش يحول بين جسده وبين الحصير، وتَحْتَ رَأْسِهِ وِسَادَةٌ مِن أَدَمٍ، وهو الجلد، حَشْوُهَا لِيفٌ، قال عمر:

---

١ رواه البخاري (٢٥٦٧).

فَرَأَيْتُ أَثَرَ الحَصِيرِ فِي جَنْبِهِ فَبَكَيْتُ، فَقالَ: ما يُبْكِيكَ؟ فَقُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، إنَّ كِسْرَى وقَيْصَرَ فِيما هُما فِيهِ، وأَنْتَ رَسولُ اللَّهِ!

فَقالَ: أَمَا تَرْضَى أنْ تَكُونَ لهمُ الدُّنْيَا ولَنَا الآخِرَة.[1]

أي إن كِسْرَى وقَيْصَرَ مَلِكانِ لمملكَتينِ عَظيمتينِ في ذلك الزَّمنِ، وهما فارِسُ والرُّومُ، وهما ينعمان بما ينعم به الملوك مِن الرَّفاهِيَةِ ونَعيمِ الدُّنيا، ورسولُ اللهِ أَوْلَى منهما بهذا النَّعيمِ، فلما قال عمر مقالته قالَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «أَمَا تَرْضَى أنْ تكونَ لهم»، أي: للكُفَّارِ، «الدُّنيا»، أي: نَعيمُها الَّذي يَفْنَى ويَنْتَهي إمَّا بِمَوْتِ صاحبِهِ، أو بزَوالِ النَّعيمِ عنه، أو بزوالِ الدُّنيا، «ولنَا» نحْنُ المسلِمينَ «الآخرةُ»، أي: نَعيمُها وما فيها مِن خُلودٍ وبَقاءٍ.

- ثم بعد توسع دولة النبي (صلى الله عليه وسلم) بازدياد الفتوحات زاد الخير، وزاد رزقُه، ومع هذا فقد كان كثير الإنفاق والصدقة على الناس، وما يدَّخر لنفسه إلا ما يكفيه.

- فالنبي (صلى الله عليه وسلم) لم يجعل لذريته وعشيرته ميزة من ميزات الدنيا ونعيمها وسلطانها، وألغى ما كان لقبيلته من ميزة على غيرهم من القبائل قبل الإسلام، وجعل العبيد سواسية مع سادات قريش، مع أنهم كان لهم صدارة على غيرهم بحكم أنهم من نسل إسماعيل بن إبراهيم، وأنهم سادات الحرم، فسوَّى كل ذلك بالأرض، وجعل الصدارة في المناصب لمن اجتمع فيه خوف الله وتقواه، وكانت عنده الكفاءة والأهلية.

---

١ رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما (٤٩١٣).

● أما نساؤه (صلى الله عليه وسلم) فقد كُنَّ يعِشن معه على الكفاف، **وليس كما يعيش نساء الملوك**، وقد اشتكين إليه ما يقاسينه من قلة العيش، فنزلت آية التخيير وهي قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا * وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما﴾ (سورة الأحزاب: ٢٨-٢٩).

ومعنى الآية: يا أيها النبي قل لأزواجك اللاتي اجتمعن عليك، يطلبن منك زيادة النفقة: إن كنتنَّ تردن الحياة الدنيا وزينتها فأقبِلْنَ أمتعكنَّ شيئًا مما عندي من الدنيا، وأفارقكنَّ دون ضرر أو إيذاء.

وإن كنتن تردْنَ رضا الله ورضا رسوله وما أعدَّ الله لكُنَّ في الدار الآخرة، فاصبرْنَ على ما أنتُنَّ عليه، وأطعن الله ورسوله، فإن الله أعد للمحسنات منكنَّ ثوابًا عظيمًا.

فلما نزلت الآية وسمعنها اخترن الله ورسوله، وما أعدَّ الله لهن في الدار الآخرة من الثواب والنعيم.

● ثم لما مات (صلى الله عليه وسلم) لم يُخَلِّف شيئا؛ فقد مات ودِرعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين صاعا من شعير، أخذها منه نفقة لأهله.[1]

فلم يُخلف النبي (صلى الله عليه وسلم) دينارا ولا درهما، ولا شاة ولا بعيرا، إلا بغلته وسلاحه وبيته.

---

١ رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها (٢٩١٦).

- علاوة على هذا فإن الله حكم بأن الأنبياء لا يُوَرِّثون مالا، ما تركوه صدقة، ولا يأخذ الورثة شيئا.[1]

- وفي الختام لم يجعل النبي (صلى الله عليه وسلم) الحكم وراثيا، بل بالشورى بين الصحابة.

فهذا العزوف عن الدنيا من دلائل أنه صاحب رسالة، لا طمعَ وتَشوُّفا للشرف والمال، وهذا من دلائل نبوته (صلى الله عليه وسلم).

- قال المستشرق الأمريكي واشنجتون إرفنج Washington Irving، ١٧٨٣ – ١٨٥٩م: «كل الأموال التي كانت تتدفق عليه من الجزية والزكاة ومغانم الحرب؛ كان ينفقها في سبيل مزيد من نشر الدعوة، وعلى المساكين وأبناء السبيل، إلى درجة أن خزينته كانت كثيرا ما تنضب.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما ترك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا، ولا أوصى بشيء.[2]

نعم لم يوص بشيء، وتلك هي معالم **الشخصية النبوية الصادقة** مع نفسها قبل صدقها مع الآخرين».[3]

---

١ رواه مسلم (١٦٣٥).

٢ رواه مسلم (١٦٣٥).

٣ «محمد (صلى الله عليه وسلم) وخلفاؤه»، واشنطن إيرفنغ، ١٨٦٨م، ترجمة د. هاني يحيى نصري، ط ١٩٩٩م، ص ٤٦١، باختصار، الناشر: المركز الثقافي العربي – بيروت.

٢. ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أنه بالرغم من علو مكانته **فإنه كان لا يتشوف لأن تكون له حظوة وأبهة بين الناس**، فقد دخل رجل على مجلس فيه النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: أيكم محمد؟ والنبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مُتَّكِئٌ بيْنَ ظَهْرانَيْهِمْ، لم يتميز عنهم بلباس ولا مكان، فقال الصحابة: هذا الرَّجُلُ الأبْيَضُ المُتَّكِئُ. فقالَ له الرَّجُلُ: يا ابْنَ عبدِ المطَّلِبِ. فقالَ له النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: قدْ أجَبْتُكَ. فقالَ الرَّجُل: إنِّي سائِلُكَ فَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ في المسْأَلَةِ، فلا تَجِدْ عَلَيَّ في نَفْسِكَ. فقالَ: سَلْ عَمَّا بَدا لكَ. فقالَ: أسْأَلُكَ بربِّكَ وربِّ مَن قَبْلَكَ، آللَّهُ أرْسَلَكَ إلى النَّاسِ كُلِّهِمْ؟ فقالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ. قالَ: أنْشُدُكَ باللَّهِ، آللَّهُ أمَرَكَ أنْ نُصَلِّيَ الصَّلَواتِ الخَمْسَ في اليَومِ واللَّيْلَةِ؟ قالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ. قالَ: أنْشُدُكَ باللَّهِ، آللَّهُ أمَرَكَ أنْ نَصُومَ هذا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ؟ قالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ. قالَ: أنْشُدُكَ باللَّهِ، آللَّهُ أمَرَكَ أنْ تَأْخُذَ هذِه الصَّدَقَةَ مِن أغْنِيائِنا فَتَقْسِمَها علَى فُقَرائِنا؟ فقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ. فقالَ الرَّجُلُ: آمَنْتُ بما جِئْتَ به، وأنا رَسولُ مَن ورائِي مِن قَوْمِي، وأنا ضِمامُ بنُ ثَعْلَبَةَ أخُو بَنِي سَعْدِ بنِ بَكْرٍ.[١]

والشاهد من هذا السؤال أن النبي (صلى الله عليه وسلم) لو كان متميزا عمَّن هم في المجلس بلباس أو مكان لما سأل الرجل سؤاله، ولكن لأنه كان متساويا معهم، ولم يكن متشرفا إلى مكانة في المجلس لم يعرف الرجل أي الرجال هو.

٣. ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) **أن الله خيره بين أن يكون ملِكا نبيا أو عبدا رسولا، فاختار أن يكون عبدا رسولا**، وهذا

---

١ رواه البخاري (٦٣).

يتضمن مزيد رفعة وقدر للنبي (صلى الله عليه وسلم) ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جلس جبريل إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فنظر إلى السماء، فإذا ملَكٌ ينزِل، فقال له جبريل: (إن هذا الملَك ما نزل منذ يوم خُلِق قبل الساعة)، فلما نزل قال: يا محمد، أرسلَني إليك ربك، أفملِكًا نبيا يجعلُك أو عبدا رسولا؟

قال جبريل: تواضعْ لربك يا محمد. فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : بل عبدا رسولا.[1]

فهذا العزوف عن الدنيا من دلائل أنه صاحب رسالة، لا طمع وتَشوُّفا للشرف والمال، وهذا من دلائل نبوته (صلى الله عليه وسلم).

٤. ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) **أن قبيلته قريش كانت تمنيه بجعله ملكا عليهم وتساومه على ذلك ليتخلى عن دعوته فيرفض.**

فقد روى ابن إسحاق في (السيرة)، في باب: (أحاديث الأحبار وأهل الكتاب بصفة النبي صلى الله عليه وسلم)، أن عتبة بن ربيعة، وكان سيدا حليما من سادات قريش، قال للنبي (صلى الله عليه وسلم) وهو جالس في نادي قريش، والنبي (صلى الله عليه وسلم) جالس وحده في المسجد، فقال: يا معشر قريش ألا أقوم إلى هذا فأكلمه أموراً لعله أن يقبل بعضها فنعطه أيها شاء ويكف عنا، وذلك لما رأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون؟ فقالوا :بلى يا أبا الوليد فقم فكلمه، فقام عتبة حتى جلس إلى

---

١ رواه أحمد (٧٧/١٢) ، وقال محققو «المسند»: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :يابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السَّطَة (أي علو المكانة) في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفّرت من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك أن تقبل منها بعضها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قل يا أبا الوليد أسمع. فقال: **يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت من هذا القول مالاً جمعنا من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تريد شرفاً شرفناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد مُلكاً ملَّكناك** ... إلى آخر ما قال، حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفرغت يا أبا الوليد؟ قال :نعم، قال :فاستمع مني، قال :أفعل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بسم الله الرحمٰن الرحيم. ﴿حٰم (١) تَنْزِيلٌ مِنَ الرحمٰن الرَّحِيمِ (٢) كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرْآناً عربيا﴾ ...

فمضى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقرأُها عليه، فلما سمعها عتبة أنصت له، وألقى بيده خلف ظهره معتمداً عليها يستمع منه ... ثم قال: رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك)، (أي: أنت وشأنك)، فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض :نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا :ما وراءك يا أبا الوليد؟ فقال :ورائي؟! إني والله قد سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فو الله ليكونن

لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصيبه العرب (أي تقتله) فقد كُفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به، قالوا :سَحَرك والله يا أبا الوليد بلسانه، فقال: هذا رأي لكم فاصنعوا ما بدا لكم. تمت القصة.

- ولما جاء عدي بن حاتم من دياره انطلَق به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى بيته، وفي الطريق دعته امرأة ضعيفة كبيرة، فاستوقفَته، فوقف لها طويلا تكلمه في حاجتها، فقال عدي: **والله ما هذا بِمَلِك**. ثم مضى بي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى إذا دخل بي بيته، تناول وسادة من أدم (وهو الجلد)، فقذفها إلي، فقال: اجلس على هذه، قلت: «بل أنت فاجلس عليها»، فقال: «بل أنت»، فجلستُ عليها وجلس رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالأرض، فقلت في نفسي: «**والله ما هذا بأمر مَلِك؟**»[1].

- وأتى النَّبيَّ (صلَّى اللَّهُ عليَهِ وسلَّم) رجلٌ، فَكَلَّمَهُ، فجَعلَ ترعدُ فرائصُهُ[2]، فقالَ لَهُ: هوِّن عليكَ، **فإنِّي لستُ بملِكٍ**، إنَّما أَنا ابنُ امرأةٍ تأكُلُ القَديد.[3] والقديد هو اللحم المجفف.

---

١ ينظر «سيرة ابن هشام» (٤/٣٤٤-٣٤٨)، باب: قدوم عدي على الرسول وإسلامه، تحقيق مصطفى السقا ورفاقه، ط ٢، و «دلائل النبوة» للبيهقي (٥/٣٤٣)، تحقيق قلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية.

٢ جمع فريصة، وهي اللحمة بين الجنب والكتف.

٣ رواه ابن ماجه عن أبي مسعود، رضي الله عنه، (٣٣١٢)، وصححه الألباني.

٥. ولما التقى هرقل بأبي سفيان رضي الله عنه ببيت المقدس –وكان أبو سفيان في تجارة، ولم يُسلم بعد– سأله عن النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال له: هل من آبائه من **مَلِك؟** فقال: لا، فقال هرقل: لو كان من آبائه **مَلِك** لقلت رجل يطلب ملك آبائه.[1]

فدل هذا على أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان نبيا، ولم يكن طالبا لمتاع الدنيا من مُلك ومال.

٦. ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) **أنه دعا لعبادة الله ولم يدع لعبادة نفسه، ولم يخلع على نفسه شيئا من صفات الربوبية ولا الألوهية**، وليس في دينه تأليه لغير الله تعالى، بخلاف القادة والأباطرة من الرومان واليونان، الذين درجوا على تأليه أنفسهم، وكذلك الأحبار والقساوسة، الذين درجوا على تقديس أنفسهم، ووصْفُ أنفسهم بأنهم أبناء الله!

وقد أمر الله نبيه أن يقول للناس ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم﴾، وقال يوما لأصحابه: لا تطروني (أي تبالغون في مدحي) كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبد ، فقولوا: عبد الله ورسوله.[2]

- وعن خالد بن ذكوان قال: قالت الرُّبيّع بنت مُعوِّذ: جاء النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) يدخل حين بُنِيَ عليَّ (أي حين تزوجها، لأن الزواج بناء)، فجلسَ

---

١ رواه البخاري (٤٥٥٣).

2 رواه البخاري (٣٤٤٥).

على فِراشي كمجلِسكَ[1] منّي ، فجعلتْ جُوَيْرِياتٌ[2] لنا يَضربنَ بالدُفِّ ويَندُبنَ[3] مَن قُتلَ من آبائي يومَ بدرٍ ، إذ قالت إحداهنَّ: **وفينا نبيٌّ يَعلمُ ما في غَدِ**. فقال: دَعي هذِهِ ، وقولي بالذي كنتِ تقولين.[4]

وفي لفظ قال: أَمَّا هٰذَا فَلاَ تَقُولُوهُ ، **مَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلاَّ اللَّه**.[5]

- وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي (صلى الله عليه وسلم) مَرَّ بنساء من الأنصار في عُرسٍ لهن يُغَنِّين:

وأهدَى لها كبشًا تَنَحْنَحَ[6] في المِربدِ[7] وزَوجُكُمُ في النادي[8] **ويعلم ما في غدِ**

---

١ لم يأتِ في الحديث بيان من هو المخاطَب ، والظاهر أنه خالد بن ذكوان ، راوي الحديث عن الرُّبَيّع، رضي الله عنها.

٢ الجويرية تصغير جارية ، والمقصود بنيات صغيرات.

٣ الندب هو عَدُّ خصال الميت ومحاسنه.

٤ قال ابن حجر رحمه الله: فيه إشارة إلى جواز سماع المدح والمرثية مما ليس فيه مبالغة تفضي إلى الغلو.

٥ رواه ابن ماجه (١٨٩٧)، وصححه الألباني رحمه الله، وأصله في البخاري (٥١٤٧).

٦ تنحنح أي تردَّد صوته في جوفه. انظر «المعجم الوسيط».

٧ المربد هو الموضع الذي تحبس فيه الغنم والإبل. انظر «النهاية».

٨ النادي هو مجتمع القوم وأهل المجلس. انظر «النهاية».

فقال رسولُ الله (صلى الله عليه وسلم): **لا يعلم ما في غدٍ إلا الله**.[1]

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا قال للنبي (صلى الله عليه وسلم): ما شاء الله **وشئتَ**.

فقال له النبي (صلى الله عليه وسلم): أجعلتني والله عدلاً؟ بل ما شاء الله وحده.[2]

وفي لفظ: جعلت لله نداً؟ ما شاء الله وحده.[3]

****

فالحاصل أن جميع هذه الأدلة الشرعية والتاريخية تدل على أن محمدا كان رسول من عند الله حقا، ولم يكن طالبا لشيئ من حظوظ الدنيا، وأعظمها المُلك بطبيعة الحال.

---

١ أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣٤٠١) ، وحسن إسناده ابن حجر في «الفتح» تحت حديث رقم (٥١٤٧).

٢ رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٨٨) ، وأحمد (٢١٤/١) ، واللفظ له ، وصححه لغيره محققو «المسند» ، وخرجه الألباني في «الصحيحة» (١٣٩). ولفظ النسائي: أجعلتني لله عدلاً؟

٣ رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٣).

الدليل الثاني: تحمل النبي (صلى الله عليه وسلم) لأنواع الأذى، ومقابلتها بالعفو والصفح

***

من الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أنه تعرض لجميع أصناف الأذى ليرجع عن دعوته إلى الإسلام فلم تتزلزل عزيمته، ولم تهُن قواه، فدل هذا على أنه نبي من عند الله حقا.

وأنواع الأذى التي تعرض لها النبي (صلى الله عليه وسلم) عشرة، وهي:

النوع الأول مِن أنواع الأذى هو السب، فقد قالوا عنه إنه ساحر ومجنون، وقالوا إنه كاذب.

ومن السب الذي تعرض له النبي (صلى الله عليه وسلم) ما قاله عنه عمه أبو لهب، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: صعد النبي (صلى الله عليه وسلم) الصفا[1] ذات يوم، فقال: يا صباحاه[2]، فاجتمعت إليه قريش، قالوا: ما لك؟ قال: أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو يُصبِّحكم أو يُمسِّيكم، أما كنتم تصدقوني؟ قالوا: بلى، قال: فإني

---

١ «الصفا» جبل معروف.

٢ (واصباحاه) كلمة يقولها المستغيث، هكذا تعارف العرب في الماضي.

نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: تَبًّا لك[1]، ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله: ﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾.[2]

***

وعن ربيعة بن عَباد، مِن بَني الدِّيل، وكان جاهليا[3] فأسلم، قال: رأيت النبي (صلى الله عليه وسلم) في الجاهلية في سوق (ذي المجاز) وهو يقول: يا أيها الناس، قولوا: (لا إله إلا الله) تفلحوا، والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجل وَضِيء الوجه[4]، أحْول، ذو غديرتين[5]، يقول إنه صابئ[6] كاذب، يتْبعه حيث ذهب، فسألت عنه، فذكروا لي نسب رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وقالوا لي: هذا عمه أبو لهب.[7]

وفي رواية: قال ربيعة: ورجل يتبعه يرميه بالحجارة، وقد أدمى عُرقوبيه وكعبيه.[8]

والعُرقوب هو الوَتَر فوق العَقِب.

***

---

١ التب هو الهلاك، فهو يدعو عليه بالهلاك. انظر «النهاية».

٢ رواه البخاري (٤٨٠١) ومسلم (٢٠٨)، واللفظ للبخاري.

٣ أي كان على دين الجاهلية، وهي ما قبل الإسلام.

٤ وضي الوجه أي حسن الوجه. انظر «النهاية».

٥ الغدائر هي الذوائب والتي تسمى بالجدائل، مفردها غديرها. انظر «النهاية».

٦ صابىء أي خرج من دين إلى دين. انظر «النهاية».

٧ رواه أحمد (٣٤١/٤)، وقال محققو «المسند»: صحيح لغيره.

٨ رواه ابن حبان (٦٥٦٢).

ومن السب الذي تعرض له النبي (صلى الله عليه وسلم) أن قريشا كانت تسميه مُذمّما، فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم؟! يشتمون مُذمما، ويلعنون مُذمما، وأنا محمد.[1]

يعني بهذا أن الذي يشتمونه اسمه مذمم، واسمه ليس كذلك، فلا يقع سبهم عليه. وكلمة مذمم تقابل كلمة محمد، لأن كلمة (محمد) تعني أنه محمود وممدوح، فعدلوا عن هذا الاسم، وسموه بغير اسمه، فلا يقع عليه سبُّهم.

***

وقال ابن هشام في (السيرة) في باب نزول ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾: قَالَ ابْنُ إِسْحَاق: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِيمَا بَلَغَنِي بِالْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ وَبِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ، فَهَمَزُوهُ وَاسْتَهْزَءُوا بِهِ، فَغَاظَهُ ذَلِكَ. فَأَنْزَلَ الله تعالى عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِمْ: ﴿ولَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (الأنعام: ١٠).

***

وكان أمية بن خلف إذا رأى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هَمَزَه ولَمَزَه، والهمز هو السب علانية، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿ويل لكل همزة لمزة (١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَة (٩) ﴾.[2]

---

١ رواه البخاري (٣٥٣٣).

٢ قاله ابن هشام في (السيرة) في باب: إيذاء أمية بن خلف للرسول.

وقد كان هناك غير هؤلاء يستهزئون بالنبي (صلى الله عليه وسلم) ويسبونه كالعاص بن وائل السهمي، والنضر بن الحارث، وأبي جهل، وهو الحكم بن هشام، فرعون هذه الأمة.[1]

***

النوع الثاني مِن أنواع الأذى الذي تعرض له النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) هو الاتهام من غير سب، فقد اتهموه **بأنه شاعر،** وأن القرآن من تأليفه، وهذا من الاتهام الواضح بطلانه، وقد جاء الرد على هذه الشبهة بأنه لم يقل الشعر يوما، ثم إن الشعراء المُصقعين في وقته عجزوا عن أن يأتوا بآية مثل آيات القرآن.

***

النوع الثالث مِن أنواع الأذى الذي تعرض له النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) هو الأذى الجسدي، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ رَسولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ[2] يَومَ أُحُدٍ[3]، وَشُجَّ في رَأْسِهِ[4]، فَجَعَلَ يَسْلُتُ[5] الدَّمَ عنْه

---

١ قاله ابن هشام في (السيرة) بعد باب: إيذاء أمية بن خلف للرسول.

٢ الرباعية هي السن الذي في الجانب، وللإنسان رباعياتان في الفك الأعلى، ورباعيتان في الفك الأسفل.

٣ يوم أُحُد هو يوم غزوة أُحد، سميت بذلك لأنها بجوار جبل أُحُد، غزا فيه المشركون المسلمين، وهي ثاني غزوة التقوا فيها.

٤ شُجَّ في رأسه أي جُرِح. انظر «النهاية».

٥ يسلت أي يميط ويزيل. انظر «النهاية».

ويقولُ: كيفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ (صلى الله عليه وسلم)، وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ، وَهو يَدْعُوهُمْ إلى اللهِ؟! فأنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾.[1]

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أنه سُئل عن جرح النبي (صلى الله عليه وسلم) يوم أحد، فقال :جُرِح وجهُ (النبي صلى الله عليه وسلم)، وكُسِرت رَبَاعِيَتُه، وهُشِمَت البيضة[2] على رأسه، فكانت فاطمة عليها السلام تغسل الدم وعليٌّ يُمسِك، فلما رأت أن الدم لا يزيد إلا كثرة، أخذت حصيرًا فأحرقتُه حتى صار رمادًا، ثم ألزقتُه فاستمسك الدم.[3]

تعليق:

الذي جرح وَجهَه الشَّريف (صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ) هو عبدُ اللهِ بنُ القَمِئةَ، وكان حتفه أن سلَّطَ اللهُ عليه تَيْسًا، فنطحه فقتله.[4]

والذي كسر رباعيته هو عُتْبةُ بنُ أبي وقَّاصٍ مِن كفَّارِ قُرَيش.[5]

وكان عَليٌّ بنُ أبي طالِبٍ رَضيَ اللهُ عنه هو الَّذي يَسكُبُ الماءَ على الجُرحِ، وكان يَسكُبُه ويَصُبُّه بالمِجَنِّ، وهو التُّرْسُ الَّذي يُتَّقى به مِن ضَرَباتِ السَّيفِ، وهو مِن عَتادِ المحارِبِ.

---

١ رواه مسلم (١٧٩١).

٢ البيضة هي الخوذة التي يلبسها المقاتل,

٣ رواه البخاري (٢٩١١).

٤ «المصنف» لعبد الرزاق، برقم (٩٦٤٨)، الناشر المكتب الإسلامي.

٥ «المصنف» لعبد الرزاق، برقم (٩٦٤٩)، الناشر المكتب الإسلامي.

وفي هذا الخبر تنبيه إلى أن الصَّحابةَ كانوا يتتبعون أحْوالَ النَّبيِّ (صلى الله عليه وسلم) في كلِّ شَيء، في الشدة واليسر، ويدونها.

***

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: بينما رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ) يُصَلِّي عِنْدَ البَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ له جُلُوسٌ، وَقَدْ نُحِرَتْ جَزُورٌ بالأمْسِ، فَقالَ أَبُو جَهْلٍ: أَيُّكُمْ يَقُومُ إلى سَلَا جَزُورِ[1] بَنِي فُلَانٍ، فَيَأْخُذُهُ فَيَضَعُهُ في كَتِفَيْ مُحَمَّدٍ إذَا سَجَدَ؟ فَانْبَعَثَ أَشْقَى القَوْمِ[2] فأخَذَهُ، فَلَمَّا سَجَدَ النبيُّ (صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ) وَضَعَهُ بيْنَ كَتِفَيْهِ، قالَ: فَاسْتَضْحَكُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ علَى بَعْضٍ وَأَنَا قَائِمٌ أَنْظُرُ، لو كَانَتْ لي مَنَعَةٌ[3] طَرَحْتُهُ عن ظَهْرِ رَسولِ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ)، وَالنبيُّ (صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّم) سَاجِدٌ ما يَرْفَعُ رَأْسَهُ حتَّى انْطَلَقَ إنْسَانٌ فأخْبَرَ فَاطِمَةَ، فَجَاءَتْ وَهي جُوَيْرِيَةٌ[4]، فَطَرَحَتْهُ عنْه، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عليهم تَشْتِمُهُمْ، فَلَمَّا قَضَى النبيُّ (صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّم) صَلَاتَهُ، رَفَعَ صَوْتَهُ، ثُمَّ دَعَا عليهم، وَكَانَ إذَا دَعَا دَعَا ثَلَاثًا، وإذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قالَ: اللَّهُمَّ، عَلَيْكَ بقُرَيْشٍ (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ)، فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ ذَهَبَ عنْهمُ الضِّحْكُ، وَخَافُوا دَعْوَتَهُ، ثُمَّ قالَ: اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بأَبِي جَهْلِ بنِ هِشَامٍ، وَعُتْبَةَ بنِ رَبِيعَةَ، وَشيبَةَ بنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بنِ عُقْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بنِ أَبِي مُعَيْطٍ، وَذَكَرَ السَّابِعَ وَلَمْ أَحْفَظْهُ.

---

١ سلا الجزور هو اللفافة التي يكون فيها الولد في بطن الناقة.

٢ جاء في رواية أخرى (٣١٨٥) أنه عقبة بن أبي معيط.

٣ منعة أي قوة تمنع من يريدها بسوء. انظر «النهاية».

٤ أي جارية صغيرة.

فَوَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا (صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ) بالحَقِّ، لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ سَمَّى صَرْعَى يَومَ بَدْرٍ[1]، ثُمَّ سُحِبُوا إلى القَلِيبِ[2]، - قَلِيبِ بَدْر-.[3]

***

ومن الأذى الجسدي الذي تعرض له النبي (صلى الله عليه وسلم) أن عتيبة بن أبي لهب كان متسلطا عليه، وحصل أن شق قميصه، فدعا عليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقال: اللهم سلط عليه كلبك.

فسلط الله عليه أسدا هجم عليه وقتله.[4]

***

ومن الأذى الجسدي الذي تعرض له النبي (صلى الله عليه وسلم) أن أبي بن خلف قال لعقبة بن أبي معيط: ما أنا بالذي أرضى عنك أبدا حتى تأتيه (يعني النبي (صلى الله عليه وسلم)) فتبزُق في وجهه وتطأ على عنقه.

فذهب لعنه الله إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) ففعل ذلك، فأنزل الله فيهما قوله: ﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا (٢٧) يا

---

١ أي يوم معركة بدر، التي التقى فيها المسلمون بالمشركين، وفيهم هؤلاء السبعة.

٢ القليب هي البئر الذي لم يبن بالحجارة.

٣ رواه البخاري (٢٤٠) ومسلم (١٧٩٤)، واللفظ لمسلم.

٤ رواه الحاكم (٤٠٣٧)، وحسن إسناده الحافظ في الفتح (١٠/١٦٤)، شرح الحديث رقم (١٨٣١)، ط الرسالة.

وجاء في مسند الحارث (٢/ ٥٦٢/ رقم: ٥١١) أن اسمه لهب بن أبي لهب، انظر «بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث»، للحارث بن أبي أسامة، انتقاء الهيثمي، تحقيق د. حسين أحمد صالح الباكري.

يولتى ليتني لم أتخذ فلانا خليلا (٢٨) لقد أضلني عن الذكر إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا (٢٩)﴾.[١]

***

النوع الرابع والخامس مِن أنواع الأذى الذي تعرض له النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) هو الحصار والتجويع الذي تعرض له مع قومه بني عبد مناف في شِعب أبي طالب، والشِّعب هو الطريق بين جبلين، حيث أن أبا طالب عم النبي (صلى الله عليه وسلم) خاف على ابن أخيه من قريش، حيث أن قريشا طلبت من بني عبد مناف أن يُسلِموا إليهم محمد (صلى الله عليه وسلم)، وذلك أنهم لا طاقة لهم بقتالهم بعد إسلام حمزة وعمر، فحمزة من فرسان قريش الأشداء، وعمر معروف من هو، فقرروا مقاطعتهم، فمنعوا أن يبيعوهم شيئا ولا يناكحوهم ولا يجالسوهم حتى يُسلِموا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إليهم ليقتلوه، وكتبوا معاهدة في صحيفة وعلَّقوها في الكعبة، تعظيما لها.

هنا خاف أبو طالب على ابن أخيه، فأشار على بني عبد مناف (الذين هم بنو هاشم وبنو عبد المطلب) أن يدخلوا شعب بني هاشم، ويحموا الرسول (صلى الله عليه وسلم) من القتل، فأجابوا كلهم، مسلمهم وكافرهم، فهم بنو عمه، أخذتهم الحمية عليه، إلا أبا لهب، امتنع من الحماية، وانحاز إلى قريش.

فحوصر النبي (صلى الله عليه وسلم) مع جميع أفراد قبيلته بني عبد مناف، وجُوِّعوا، وبقوا ثلاث سنين في الشعب، حتى مات بعضهم من الجوع، وحتى اضطر بعضهم

---

١ رواه أبو نعيم في (دلائل النبوة) (٢/٤٧٠)، ط دار النفائس، وحسنه الألباني في «صحيح السيرة النبوية»، وهو في «سيرة ابن هشام».

إلى أكل أوراق الشجر، وصار لا يأتيهم شيء إلا سرا، وظلوا كذلك ثلاث سنين كاملة، من محرم في السنة السابعة من البعثة إلى المحرم سنة عشر من البعثة، إلى أن قررت قريش لاحقا نقض المعاهدة بعدما أصاب بنو عمهم ما أصابهم من البلاء، ومزقوا الصحيفة، وخرج الناس، ورجع النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى الدعوة كما كان، وهو في منعة من عمه أبي طالب، إلى أن توفي عمه، فهنا اشتد أذى قريش، فقرر النبي (صلى الله عليه وسلم) الهجرة بعدها.[1]

***

النوع السادس مِن أنواع الأذى الذي تعرض له النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) هو التهجير، فقد اضطر النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى الهجرة من بلده مكة إلى المدينة لما اشتد عليه أذى قريش، كما هاجر أصحابه إليها قبل هجرته وبعدها.

---

١ الحصار في شعب أبي طالب ورد في عدة مصادر؛

١. «الطبقات الكبير»، (١/ ١٧٧-١٧٨)، للزهري، تحقيق د. علي محمد عمر، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر.

٢. وورد في «تاريخ الطبري»، (٢/ ٣٣٥- ٣٣٦)، الناشر: دار المعارف بمصر.

٣. وورد في «دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة»، (٢/ ٣٦٥)، للبيهقي، تحقيق د. عبد المعطي قلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان

٤. وورد في «السنن الكبرى»، (٦/ ٥٩٤/ رقم: ١٣٠٧٦) للبيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان

كما هاجر أصحابه من قبله إلى الحبشة مرتين؛ الأولى في السنة الخامسة من البعثة، والثانية في السنة السادسة من البعثة.[1]

***

النوع السابع مِن أنواع الأذى الذي تعرض له النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) هو القذف، فقد قذفه المنافقون في عرضه، واتهموا زوجه عائشة بالزنا، فبرأها الله من ذلك في سورة النور.[2]

***

النوع الثامن مِن أنواع الأذى الذي تعرض له النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) هو القتال، فقد جرت معارك بين النبي (صلى الله عليه وسلم) وبين المشركين لقتل

---

١ انظر في مرويات **الهجرة إلى المدينة** «سيرة ابن هشام»، حديث الهجرة إلى المدينة.
وانظر «السيرة النبوية لابن كثير »، في بدء الهجرة من مكة إلى المدينة.
وانظر «صفوة السيرة النبوية » لمهدي رزق الله أحمد. نشر وكالة المطبوعات والبحث العلمي لوزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد بالرياض، ص ١٧٦ وما بعدها.
وفي **الهجرة للحبشة** انظر «السيرة النبوية » لابن كثير.
وكتاب «هجرة الحبشة » لخلدون ربابعة، المكتبة الأردنية الهاشمية.
و«الهجرة إلى الحبشة وأثرها في نشر الدعوة الإسلامية » لأروى اليزيدي، رسالة جامعية نشرت بجامعة أم الفرى بمكة المكرمة.
و «صفوة السيرة النبوية »، ص ١٣٩ وما بعدها.

٢ انظر قصة حديث الإفك في صحيح البخاري (٢٥١٨).

النبي (صلى الله عليه وسلم) ومن معه من الصحابه فعجزوا، كما في معركة أحد والأحزاب، بل صار عُود الإسلام يشتد، والداخلون فيه يكثرون.

***

النوع التاسع مِن أنواع الأذى الذي تعرض له النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) هو تقتيل أصحابه قبل الهجرة وبعدها، فأما قبل الهجرة فالكلام فيه طويل جدا، ومن أشهر ما ورد فيه تعذيب آل ياسر، فقد قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: (وَكَانَتْ بَنُو مَخْزُومٍ يَخرجون بِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، وَبِأَبِيهِ وَأُمِّهِ، وَكَانُوا أهلَ بَيْتِ إِسْلَامٍ، إِذَا حَمِيت الظَّهِيرَةُ، يُعَذِّبُونَهُمْ برَمْضاء مَكَّةَ، فَيَمُرُّ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فيقول فيما بلغني: صبرا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة).[1]

قال ابن هشام في (السيرة): (وَكَانَ أَبُو جَهْلٍ إِذَا سَمِعَ بالرجلِ قَدْ أَسْلَمَ ولَهُ شَرَفٌ ومَنَعة؛ أنَّبه وأخْزاه وقال: (تركتَ دينَ أَبِيكَ وَهُوَ خيرٌ مِنْكَ، لنُسَفهنَّ حُلمَك، وَلَنُفَيِّلَنَّ[2] رَأْيَكَ، ولنَضَعَنَّ شرفَك)، وَإِنْ كَانَ تَاجِرًا قال: (وَاللَّهِ لنُكْسِدَنَّ تجارتَك، ولنُهلكنَّ مَالَكَ)، وَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا ضَرَبَهُ وأغرَى بِهِ).[3]

وقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: (وَحَدَّثَنِي حَكِيمُ بْنُ جُبَيْر عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْر، قَالَ :قلتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ: أَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَبْلُغُونَ مِنْ أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– مِنْ الْعَذَابِ **مَا يُعْذَرون بِهِ فِي تَرْكِ دِينِهِمْ؟** قَالَ :نَعَمْ وَاَللَّهِ، إِنْ كَانُوا لَيُضربون أحدَهم وَيُجِيعُونَهُ ويُعَطِّشونه حَتَّى مَا يَقْدِرُ أَنْ يَسْتَوِيَ جَالِسًا مِنْ شِدَّةِ

1«سيرة ابن هشام»، فصل: تعذيب آل ياسر.

٢ نُـفْـلي أي نُـقَـبِّح.

3 «سيرة ابن هشام»، فصل: تعذيب آل ياسر.

الضُّرِّ الَّذِي نَزَلَ بِهِ، حَتَّى يعطيَهم مَا سَأَلُوهُ مِنْ الْفِتْنَةِ، حَتَّى يَقُولُوا لَهُ: آللاتُ والعُزَّى إلهُك مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ فَيَقُولُ نَعَمْ، حَتَّى إنَّ الجُعَلَ[1] لَيَمُرُّ بِهِمْ، فَيَقُولُونَ لَهُ :أَهَذَا الجُعَلُ إلهُك مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ فَيَقُولُ :نَعَمْ، افْتِدَاءً مِنْهُمْ مما يبلغون من جهده).[2]

وأما أذى الأصحاب بعد الهجرة فأشده ما يحصل لهم من تقتيل في الحروب، ثم ما يحصل من غدر خلال ذلك، وأشهره ما وقع في شهر صفر من السنة الرابعة من الهجرة والمعروفة بحادثة بئر معونة، وفيها أنه جَاءَ نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) فَقَالُوا أَنِ ابْعَثْ مَعَنَا رِجَالاً يُعَلِّمُونَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَبْعِينَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُمُ الْقُرَّاءُ –فِيهِمْ خالي حَرَام– يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَدَارَسُونَ بِاللَّيْلِ يتعلمون، وَكَانُوا بِالنَّهَارِ يَجِيئُونَ بِالْمَاءِ فَيَضَعُونَهُ فِي الْمَسْجِدِ، وَيَحْتَطِبُونَ فَيَبِيعُونَهُ وَيَشْتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ لأهل الصُّفة[3] ولِلْفُقَرَاءِ، فَبَعَثَهُمُ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) إِلَيْهِمْ، **فعرضوا لهم فَقَتَلُوهُمْ** قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا الْمَكَان، فَقَالُوا: (اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ وَرَضِيتَ عَنَّا)، وَأَتَى رَجُلٌ حَرَامًا خَالَ أَنَسٍ مِنْ خَلْفِهِ فَطَعَنَهُ بِرُمْحٍ حَتَّى أَنْفَذَهُ[4]، فَقَالَ حَرَام: (فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ)، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله

---

١ حشرة معروفة كالخنفساء. انظر «النهاية».

2 «سيرة ابن هشام»، فصل: فتنة المسلمين.

٣ أهل الصفة هم فقراء المهاجرين، كانوا يأوون إلى مكان مظلل في المسجد ويسكنونه. انظر «النهاية».

٤ أنفذه فيه أي اخترقه. انظر «النهاية».

عليه وسلم) لأَصْحَابِهِ: إِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ قُتِلُوا، وَإِنَّهُمْ قَالُوا: اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ وَرَضِيتَ عَنا.[1]

***

النوع العاشر مِن أنواع الأذى الذي تعرض له النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) هو محاولات الاغتيال وهي كثيرة، ولم تنجح، ثم خُتِمت بالتسميم على يد امرأة يهودية فتوفي النبي (صلى الله عليه وسلم) على إثرها بعد ثلاث سنوات، وستأتي قصتها فيما يلي بإذن الله.[2]

***

قال جوستاف لوبون (١٨٤١ – ١٩٣١ م) في كتابه (حضارة العرب) في بيان أن مِن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أنه كان يقابل ضروب الأذى والتعذيب بالصبر وسعة الصدر، قال:

"ويضاف إلى الوصف السابق ما رواه مؤرخو العرب الآخرون من أن محمداً كان شديد الضبط لنفسه، كثير التفكير، صموتاً حازماً، سليم الطوية، عظيم العناية بنفسه، مواظباً على خدمتها بالذات حتى بعد اغتنائه.

---

1 رواه مسلم (٦٧٧) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

2 راجع كتاب (محاولات اغتيال النبي (صلى الله عليه وسلم))، تأليف: عبد المنعم الهاشمي، الناشر: شركة مكتبة البخاري – الكويت

وكان محمد صبوراً، قادراً على احتمال المشاق، ثابتاً، بعيد الهمة، لين الطبع، وديعاً".[1] انتهى.

***

فصل في عفو النبي (صلى الله عليه وسلم) عمّن ظلمه

ليس هذا فحسب، بل إن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) قابل الأذى والتهجير **بالعفو والصفح**، ونضرب لهذا عشرة أمثلة:

١. عفا النبي (صلى الله عليه وسلم) عن أهل مكة لما فتحها، وهم الذين أذاقوه أصناف العذاب التي تقدم ذكرها، قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ في (السيرة) في قصة فتح مكة: حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَامَ عَلَى بَابِ الْكَعْبَةِ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، صَدَقَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ، ... إلى أن قال: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا تُرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيكُمْ؟ قَالُوا :خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، قَالَ :اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاء.

والذي يلفت النظر هنا بإمكانه أن ينتقم لنفسه ولأصحابه من أهلها الذين هجَّروهم وطردوهم من مكة، ثم حاربوهم وقاتلوهم في معركة بدر وأحُد والأحزاب وغيرها؛ فما كان منه إلا أن عفا عنهم، فدخلوا بسبب

---

١ حضارة العرب – ص ١١٥، المؤلف: غوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعيتر، الناشر: مؤسسة هنداوي للنشر والثقافة القاهرة – مصر، عام النشر: ٢٠١٢ م

هذا الموقف في دين الله أفواجا، ثم تتابع دخول الناس إلى الإسلام، لأنهم رأوا بأعينهم أنه لا يريد الدنيا، بل يريد نشر الدين الصحيح، ولو كان مبتغيا للدنيا لانتقم لنفسه، ولنهب مكة وأسواقها كما يفعل ملوك الدنيا، فمن كان عنده أدنى عقل أيقن أنه نبي، ودخل في دين الله تعالى.[1]

***

٢. وعفا رسولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) عن أولئك النَّفَرِ الثَّمانين الذين قَصَدوه عامَ الحُدَيبيَةِ، ونَزَلوا من جَبَلِ التَّنعيمِ، فلمَّا قَدَر عليهم مَنَّ عليهم مع قُدرتِه على الانتِقامِ، فعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه أنَّ ثمانينَ رَجُلًا من أهلِ مكَّةَ هَبَطوا على رسولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) من جَبَلِ التَّنعيمِ مُتسَلِّحين يُريدون غِرَّةَ[2] النَّبيِّ (صلى الله عليه وسلم) وأصحابِه، فأخَذَهم سِلمًا فاستحياهم[3]، فأنزل اللَّهُ عزَّ وجَل: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِم﴾ (سورة الفتح: ٢٤).[4]

***

٣. وعفا عن (وحشي) مولى مطعم بن جبير لما قتل عمه حمزة بن عبد المطلب، رغم تمكنه منه، وكان ذلك بعد فتح مكة.[5]

---

١ انظر قصة فتح مكة في «سيرة ابن هشام».

2 يريدون غِرته أي يريدون استغلال غفلته عنهم. انظر «النهاية».

3 استحياهم أي استبقاهم وتركهم ولم يعاقبهم.

4 انظر صحيح مسلم (١٨٠٧).

٥ انظر صحيح البخاري (٤٠٧٢).

٤. وعن جابِرِ بنِ عبدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عنهما أنَّه غزا مع رسولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) قِبَلَ نَجدٍ، فلمَّا قَفَلَ[1] رسولُ اللهِ (صلَّى اللهُ عليه وسلَّم) قَفل معه، فأدرَكَتْهم القائلةُ[2] في وادٍ كثيرِ العِضاه[3]، فنزل رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم)، وتفَرَّق النَّاسُ يَستَظِلُّون بالشَّجَرِ، فنزل رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) تحتَ سَمُرةٍ[4]، فعَلَّق بها سيفَه، ونِمنا نومةً، فإذا رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) يدعونا، وإذا عندَه أعرابيٌّ، فقال: إنَّ هذا اختَرَط عَلَيَّ سيفي[٥] وأنا نائِمٌ، فاستيقَظْتُ وهو في يَدِه صَلْتًا[6]، فقال: من يمنَعُك منِّي؟ قلتُ: اللهُ، ثلاثًا)، **ولم يعاقِبْه، وجلس.**[٧]

وفي رواية أنه قال لرسول الله (صلى الله عليه وسلم): أتخافني؟ قال: لا، قال: فمن يمنعك مني؟ قال: (الله يمنعني منك)، فتهدده أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأغمد السيف وعلقه.[٨]

***

---

1 قَفل أي عاد.

2 القائلة هي وقت القيلولة، وهي نصف النهار. انظر «النهاية».

3 العِضاه هو الشجر العظيم، ذو الشوك. انظر «النهاية».

4 السمر نوع من شجر الطلح. انظر «النهاية».

٥ اخترط علي سيفي أي سلَّهُ من غمده.

6 مصلتا أي مجردا من غمده. انظر «النهاية».

٧ رواه البخاري (٢٩١٠).

٨ رواه مسلم (٨٤٣).

٥. وعن عائِشةَ رضِي اللهُ عنها زوجِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، أنَّها قالت للنَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلم: هل أتى عليك يومٌ كان أشَدَّ مِن يومِ أحُدٍ[١]؟ قال: لقد لَقِيتُ مِن قومِك ما لقيتُ، وكان أشَدُّ ما لقيتُ منهم يومَ العَقَبةِ[٢]؛ إذ عرضْتُ نَفسي (أي عرضت الإسلام) على ابنِ عبدِ يالِيلَ بنِ عَبدِ كُلالٍ، (وهو من أكابر أهل الطائف)، فلم يُجِبْني إلى ما أردْتُ، فانطلقْتُ وأنا مهمومٌ على وَجهي، فلم أستفِقْ إلَّا وأنا بقَرنِ الثَّعالِبِ، (وهو جبل بين مكة والطائف)، فرفعْتُ رأسي، فإذا أنا بسَحابةٍ قد أظلَّتني، فنظرْتُ فإذا فيها جِبريلُ، فناداني، فقال: إنَّ اللهَ قد سمِع قولَ قومِك لك، وما ردُّوا عليك، وقد بعَث اللهُ إليك ملَكَ الجِبالِ لتأمُرَه بما شئْتَ فيهم، فناداني ملَكُ الجِبالِ، فسلَّم عليَّ، ثُمَّ قال: يا مُحَمَّدُ، فقال: ذلك فيما شئْتَ، (أي أن الأمر كما قال لك جبريل)؛ إن شئْتَ أن أُطبِقَ عليهم الأخشَبَينِ (وهما جبلان كبيران بمكة)، فقال له رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: **بل أرجو أن يُخرِجَ اللهُ من أصلابِهم من يعبُدُ اللهَ وَحدَه لا يُشرِكُ به شيئا.**[٣]

***

---

١ يوم أُحُد هو اليوم الذي حصلت فيه معركة أحد بين المسلمين والمشركين، سميت المعركة بذلك لأنها وقعت بجانب جبل أُحُد.

٢ العقبة موضع معروف في (مِنى)، وقيل العقبة موضع بالطائف. انظر «موقع الدرر السنية».

٣ رواه البخاري (٣٢٣١) ومسلم (١٧٩٥)، واللفظ للبخاري.

٦. وعن عُروةَ بنِ الزُّبَيرِ قال: قال **عِكرِمةُ بنُ أبي جَهلٍ**: لما انتهَيتُ إلى رسولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قُلتُ: يا محمَّدُ، إنَّ هذه أخبَرَتني أنَّك أَمَّنْتَني[١]، فقال رسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: أنت آمِنٌ. فقُلتُ: أشهَدُ أنْ لا إله إلَّا اللَّهُ وَحْدَه لا شريكَ له، وأنت عبدُ اللَّهِ ورسولُه، وأنت أبَرُّ النَّاسِ، وأصدَقُ النَّاسِ، وأوفى النَّاسِ! قال عِكرِمةُ: أقولُ ذلك وإنِّي لمُطأطِئٌ رأسي استحياءً منه، ثمَّ قُلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، استَغفِرْ لي كُلَّ عداوةٍ عادَيتُكها، أو مَركِبٍ أوضَعْتُ فيه[٢] أريدُ فيه إظهارَ الشِّركِ، فقال رسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: اللَّهُمَّ اغفِرْ لعِكرِمةَ كُلَّ عداوةٍ عادانيها، أو مَركِبٍ أوضَعَ فيه يريدُ أن يَصُدَّ عن سبيلِك. قُلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، مُرْني بخيرِ ما تَعلَمُ فأعلَمَه، قال: قُلْ: أشهَدُ أنْ لا إله إلَّا اللَّهُ، وأنَّ محمَّدًا عَبدُه ورسولُه، وتجاهِدُ في سَبيلِه، ثمَّ قال عِكرِمةُ: أمَا واللَّهِ يا رسولَ اللَّهِ، لا أدَعُ نَفَقةً كُنتُ أنفَقْتُها في الصَّدِّ عن سبيلِ اللَّهِ إلَّا أنفَقْتُ ضِعْفَها في سبيلِ اللَّهِ، ولا قاتَلْتُ قِتالًا في الصَّدِّ عن سبيلِ اللَّهِ إلَّا أبلَيتُ ضِعفَه في سبيلِ اللَّهِ.[٣]

ثمَّ اجتَهَد في القتالِ حتَّى قُتِلَ يومَ أَجنادينَ[٤] شَهيدًا في خلافةِ أبي بَكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه.

---

١ يعني أن زوجته أخبرته.

٢ أوضعت فيه أي سِرت فيه. انظر «النهاية».

٣ رواه الحاكم في «المستدرك»، برقم (٥١٢٨)، ط دار المنهاج القويم.

٤ يوم أجنادين هو يوم حصلت فيه معركة بين المسلمين والروم في فلسطين، وذلك في خلافة أبي بكر رضي الله عنه.

٧. وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عنه، قال: بعَث النبي (صلى الله عليه وسلم) خيلًا قِبَلَ نَجدٍ[١]، فجاءت برَجُلٍ من بني حَنيفةَ يُقالُ له: ثُمامةُ بنُ أُثالٍ، سَيِّدُ أهلِ اليمامةِ[٢]، فربَطوه بساريةٍ من سواري المسجِدِ[٣]، فخرج إليه رسولُ اللهِ (صلَّى اللهُ عليه وسلَّم)، فقال: ماذا عندَك يا ثُمامةُ؟ فقال: عندي (يا محمَّدُ خيرٌ؛ إنْ تقتُلْ تقتُلْ ذا دَمٍ، وإن تُنعِمْ تُنعِمْ على شاكِرٍ، وإن كنْتَ تُريدُ المالَ فسَلْ تُعطَ منه ما شِئْتَ)، فتركه رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) حتَّى كان بعد الغدِ، فقال: ما عِندك يا ثُمامةُ؟ قال: عندي ما قلتُ لك؛ إن تُنعِمْ تُنعِمْ على شاكِرٍ، وإنْ تقتُلْ تقتُلْ ذا دَمٍ، وإن كنْتَ تُريدُ المالَ فسَلْ تُعطَ منه ما شِئْتَ)، فتركه رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) حتَّى كان من الغدِ، فقال: ما عِندك يا ثُمامةُ؟ قال: عندي ما قلتُ لك؛ إن تُنعِمْ تُنعِمْ على شاكِرٍ، وإنْ تقتُلْ تقتُلْ ذا دَمٍ، وإن كنْتَ تُريدُ المالَ فسَلْ تُعطَ منه ما شِئْتَ)، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): اطلقوا ثمامة.

فانطلق إلى نخلٍ قريب من المسجد، فاغتسل، ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، يا محمد، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلي.

---

١ قِبَل نجد أي ناحية نجد.

٢ اليمامة إقليم في الجزيرة العربية يقع جنوب نجد.

٣ السارية هي العمود.

والله ما كان مِن بلد أبغض إلي من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إلي.[1]

التعليق:

قول النبي (صلى الله عليه وسلم): (ما عندك يا ثمامة؟) يَعني: أيُّ شَيءٍ عِندَكَ؟ أو ما الَّذي تَظُنُّه أنِّي فاعلٌ بكَ؟ فقال ثُمامةُ: «عِندي خَيرٌ يا مُحَمَّدُ»، يَعني: لسْتَ أنتَ ممَّن يَظلِم النَّاسَ، بلْ أنتَ ممَّن يَعْفو ويُحسِنُ، وإنْ تَقتُلْني تَقتُلْ ذا دَمٍ، أي: صاحبَ دَمٍ، فأنا مَطلوبٌ بدَمٍ أستحِقُّ عليه القَتلَ؛ فلا عَيبَ عليكَ في قَتْلي، أو أن المرادَ أنَّه صاحبُ دَمٍ غالٍ وشَريفٍ لرياسَتِه وفَضلِه، وفي قَتْلِه بُلوغٌ للثَّأرِ وشِفاءٌ للقَلبِ.

ثم قال: وإنْ تُنعِمْ وتُحسِنْ بالمنِّ بلا فِداءٍ تُنعِمْ على شاكرٍ، لأنَّكَ تُنعِمُ على كَريمٍ حافظٍ للمَعْروفِ، ولا يَنْسى الجَميلَ.

وإنْ كُنتَ تُريدُ المالَ لأفْتَديَ به نَفْسي، فاطلُبْ مِن المالِ ما تَشاءُ؛ فسوف تُعْطاه.

فالنبي (صلى الله عليه وسلم) عفا عنه، ولم يطلب منه مالا، وهٰذان دليلان على نبوته، وأصاب الثالثة، وهي أن ثمامة شكر له، وتأثر بهذا الموقف وأسلم.

***

٨. وعن سَلَمةَ بنِ الأكوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عنه، قال: خرَجْتُ من المدينةِ ذاهِبًا نحوَ الغابةِ، حتَّى إذا كنتُ بثَنيَّةِ الغابةِ[2]، لَقِيني غلامٌ لعبدِ الرحمٰن بنِ عَوف،

---

١ رواه البخاري (٤٣٧٢) ومسلم (١٧٦٤)، واللفظ لمسلم.

قلتُ: وَيحَك ما بك؟! قال: أُخِذَت لِقاحُ[1] النَّبيِّ (صلَّى اللهُ عليه وسلَّم)، قُلتُ: من أخَذَها؟ قال: غَطَفانُ وفَزارةُ[2]، فصَرَخْتُ ثلاثَ صَرَخاتٍ أسمَعْتُ ما بَيْنَ لابَتَيها[3]: يا صَباحَاه[4]، يا صَباحاه! ثم اندَفَعْتُ حتَّى ألقاهم، وقد أخذَوها، فجعَلْتُ أرميهم، وأقولُ:

أنا ابنُ الأكوَعِ واليَومُ يومُ الرُّضَّعِ

فاستَنْقَذتُها منهم قبلَ أن يَشرَبوا، فأقبَلْتُ بها أسوقُها، فلَقِيَني النَّبيُّ (صلَّى اللهُ عليه وسلَّم)، فقُلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، إنَّ القومَ عِطاشٌ، وإنِّي أعجَلْتُهم أن يَشرَبوا سِقْيَهم، فابعَثْ في إثرِهم، فقال: يا ابنَ الأكوَعِ: مَلَكْتَ فأسجِحْ، إنَّ القومَ يُقْرَون في قَومِهم.[5]

قولُه صلَّى اللهُ عليه وسلم: (ملكت فأسجِحْ)، أي أنك ملكت أمرهم وصاروا بين يديك فهنا ارفُقْ وسَهِّل **واعفُ** واسمَحْ.

وقوله (إنَّ القَومَ يُقْرَوْنَ في قَومِهم)، يَعني أنَّهم وَصَلوا إلى غَطَفانَ وهُمْ سيُضَيِّفونَهم ويُساعِدونهم، فلا فائِدَةَ في البَعثِ في الأَثَرِ، لأنَّهم لَحِقُوا بأَصْحابِهم، **فاعف عنهم** واتركهم.

***

---

٢ ثنية الغابة أي وسط الغابة، وهي موضع بين المدينة والشام.

١ اللِّقاح جمعة لقحة، وهي الناقة الحلوب.

٢ غطفان وفزارة قبيلتان من قبائل العرب.

٣ اللابتين مُثنى لابة، وهي الأرض ذات الحجارة السود.

٤ (واصباحاه) كلمة يقولها المستغيث، هكذا تعارف العرب في الماضي.

٥ رواه البخاري (٣٠٤١) ومسلم (١٨٠٦).

٩. وممن عفا عنهم النبي **(صلى الله عليه وسلم)** عبد الله بن الزبعري القرشي السهمي، كان من أشد الناس على رسول الله **(صلى الله عليه وسلم)** وعلى أصحابه بلسانه ونفسه، وكان من أشعر الناس وأبلغهم، ثم أسلم في فتح مكة، واعتذر إلى رسول الله **(صلى الله عليه وسلم)** فقبل عذره.[١]

***

١٠. وعن أَنَسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه أَنَّ يهوديَّةً أتت النَّبيَّ (صلى الله عليه وسلم) بشاةٍ مسمومةٍ، فأكَل منها، فجيءَ بها، فقيل: ألا نقتُلُها؟ قال: لا.[٢]

فالنَّبيُّ (صلى الله عليه وسلم) عفا عن هذه المرأةِ اليهوديَّةِ التي وضعت السم في ذراع الشاة، مع أنه دعاها فاعتَرَفت، فأطلَقَها ولم ينتقم منها، مع أنها مستحقة للقتل، وهذا هو الشاهد من القصة، وبقي أثر السم في بدن النبي (صلى الله عليه وسلم) حتى مات.

ولكِنْ لما مات من السم بِشرُ بنُ البراءِ قتَلَها به قصاصا.[٣]

***

١١. وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عنها قالت: سَحَر رسولَ اللَّه (صلى الله عليه وسلم) يهوديٌّ من يهودِ بني زُرَيقٍ، يُقالُ له لَبِيدُ بنُ الأعصَمِ، قالت: حتَّى

---

١ انظر «أسد الغابة» (٢٣٩/٣)، ط الشعب، و «الاستيعاب» (٩٠١/٣)، ط دار الجيل.

٢ رواه البخاري (٢٦١٧) ومسلم (٢١٩٠)، واللفظ للبخاري.

٣ رواه أبو داود (٤٥١٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الشيخ شعيب بشواهده.

كان رسولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يُخَيَّلُ إليه أنَّه يفعَلُ الشَّيءَ وما يفعَلُه! حتَّى إذا كان ذاتَ يومٍ أو ذاتَ ليلةٍ دعا رسولُ اللَّه (صلَّى اللهُ عليه وسلَّم)، ثمَّ دعا، ثمَّ دعا، ثمَّ قال: يا عائشةُ، أشعَرْتِ أنَّ اللَّهَ أفتاني فيما استفتَيتُه فيه؟ (أي أشعرتِ أن الله أجابني فيما دعوته ورجوته الليلة؟) جاءني رجلانِ فقَعَد أحَدُهما عِندَ رأسي والآخَرُ عِندَ رِجْلَي، فقال الذي عِندَ رأسي للذي عِندَ رجلَي، أو الذي عِندَ رِجلَي للذي عِندَ رأسي: ما وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قال: مطبوبٌ، (أي مسحور)، قال: مَن طبَّه؟ قال: لَبيدُ بنُ الأعصَمِ، قال: في أيِّ شيءٍ؟ قال: في مُشطٍ ومُشاطةٍ، (المشط معروف، والمشاطة ما يعلق بالمشط من الشعر)، قال: وجُبِّ طَلعةِ ذَكَرٍ، (وهو الغشاء الذي يكون على طلع النخل)، قال: فأين هو؟ قال: في بِئرِ ذي أروان.

قالت: فأتاها رسولُ اللَّه (صلى الله عليه وسلم) في أناسٍ من أصحابِه، ثمَّ قال: يا عائشةُ، واللَّهِ لكأنَّ ماءَها نُقاعةُ الحِنَّاءِ، (أي صار أحمرا متغيرا بسبب ما ألقي فيه)، ولكأنَّ نَخلَها رؤوسُ الشَّياطينِ![1] قالت: فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، أفلا أحرَقْتَه؟ قال: لا، أمَّا أنا فقد عافاني اللَّهُ، وكَرِهتُ أن أثيرَ على النَّاسِ شَرًّا، فأمَرْتُ بها فدُفِنَت.[2]

فالنَّبيُّ (صلى الله عليه وسلم) **عفا عن لَبيدِ بنِ الأعصَمِ**، الذي سَحَره، عليه الصلاةُ والسَّلامُ، ولم يعاقبه، ولا عاتَبَه، مع قُدرتِه عليه.

---

١ أي النخل المحيطة بالبئر.

٢ رواه البخاري (٦٠٦٣) ومسلم (٢١٨٩)، واللفظ لمسلم.

١٢. وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: كنت أمشي مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وعليه بُردٌ[١] نجراني غليظ الحاشية[٢]، فأدركه أعرابي، فَجَبَذَه بردائه جبذًة شديدة[٣]، نظرت إلى صفحة عنق[٤] رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وقد أثرت به حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: «يا محمد، مُر لي من مال الله الذى عندك»، فالتفت إليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) **فضحك، ثم أمر له بعطاء.**[٥]

***

قلت: وقد أبهرت أخلاق النبي (صلى الله عليه وسلم) المستشرقين المنصفين، وخصوصا خلق العفو، لأنه حصل منه هذا الخلق بعد ضيم وشقاء وظلم، والمعروف عندهم هو الانتقام في هذه الحالة لمن انتصر.

فمن أبرز صفات محمد (صلى الله عليه وسلم) التي حققت فوز الإسلام؛ **تسامحه مع خصومه**، فقد تسامح في أوقات كان الزعماء في أمثالها يُنكلون بمن كانوا معارضين لهم تنكيلا بَشِعا، ولكن تسامح محمد (صلى الله عليه وسلم) مع خصومه ومع معارضيه حقق له سيادة وتفوقا على كل الزعماء عبر القرون.

---

١ البرد نوع من الثياب معروف. انظر «النهاية».

٢ أي غليظ البطانة.

٣ جبذ أي جذب. انظر «النهاية».

٤ صفحة العنق هي جانب الرقبة.

٥ رواه البخاري (٣١٤٩) ومسلم (١٠٥٧)، واللفظ لمسلم.

***

(فلم يفعل محمد كما يفعل أصحاب الحضارة الغربية وأدعياء حقوق الإنسان في الحروب الحديثة من قتل وتشريد واغتصاب وهدم للمنازل وحرق للمحلات والمتاجر، وكما يفعل الصهاينة الآن في فلسطين، أو كما فعل الصرب بالنساء الأبرياء في البوسنة والهرسك، أو كما فعل الفرنجة أثناء الحروب الصليبية حينما قتلوا ما يزيد على سبعين ألفا من المسلمين الأبرياء، الذين احتموا بالمسجد الأقصى ...)[1].

[1] قاله الباحث محمد عبد الشافي القوصي في كتابه (محمد مشتهى الأمم)، ص ٢٨٨-٢٨٩.

فائدة لطيفة في طهارة قلب النبي (صلى الله عليه وسلم)

لما قدم النبي (صلى الله عليه وسلم) المدينة؛ أقبل الناس عليه، وهم يقولون (قَدِم رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، قَدِم رسول الله، قَدِم رسول الله)، فبدأ بدعوتهم إلى الخير، ولم يشتكِ مما فعله قومه به وبأصحابه في مكة، وتهجيره منها، إذ هذه عادة المظلوم، لاسيما وهو حديث عهد بهجرة واضطهاد، بل على العكس من ذلك، قال عبد الله بن سلام رضي الله عنه، وكان حبرا من أحبار اليهود: فجئت في الناس لأنظر، فلما تبينتُ وجهَه، عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول شيء سمعته تكلم به: **يا أيها الناس، أفشوا السلام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام.**[1]

---

١ رواه ابن ماجه (٣٢٥١)، وصححه الشيخ شعيب.

نصوص عامة في خلق العفو الذي كان يتحلى به النبي (صلى الله عليه وسلم)

قال الله تعالى لنبيه محمدٍ (صلى الله عليه وسلم): ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ **ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت: ٣٤).

وقال تعالى لنبيه محمدا (صلى الله عليه وسلم): ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٩).

قال ابن سعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية:

(هذه الآية جامعة لحسن الخلق مع الناس، وما ينبغي في معاملتهم، فالذي ينبغي أن يعامل به الناس؛ أن يأخذ العفو، أي: ما سمحت به أنفُسهم، وما سَهُل عليهم من الأعمال والأخلاق، فلا يكلفهم ما لا تسمح به طبائعهم، بل يشكر مِن كل أحدٍ ما قابله به، من قولٍ وفعلٍ جميلٍ أو ما هو دون ذلك، ويتجاوز عن تقصيرهم ويغض طرفه عن نقصهم، ولا يتكبر على الصغير لصغره، ولا ناقص العقل لنقصه، ولا الفقير لفقره، بل يعامل الجميع باللطف والمقابلة بما تقتضيه الحال وتنشرح له صدورهم.

(وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ) أي: بكل قولٍ حسنٍ وفعل جميل، وخُلُق كامل للقريب والبعيد، فاجعل ما يأتي إلى الناس منك، إما تعليم علم، أو حث على خير، من صلة رحم، أو بِرّ والدين، أو إصلاح بين الناس، أو نصيحة نافعة، أو رأي مصيب، أو معاونة على بر وتقوى، أو زجر عن قبيح، أو إرشاد إلى تحصيل مصلحة دينية أو دنيوية.

ولما كان لا بد من أذية الجاهل؛ أمر الله تعالى أن يقابَلَ الجاهل بالإعراض عنه وعدم مقابلته بجهله، فمن آذاك بقوله أو فعله لا تؤذه، ومن حرمك لا تحرمه، ومن قطعك فَصِلْهُ، ومن ظلمك فاعدل فيه). انتهى كلامه.

***

وفي العَهدِ المدَنيّ لَقِيَ الرَّسولُ (صلَّى اللهُ عليه وسلَّم) من يهودِ المدينةِ أنواعًا من الخيانةِ، فأنزل اللَّهُ عليه قولَه: ﴿فبما نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة المائدة: ١٣).

قال ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسير هذه الآية:

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد (صلى الله عليه وسلم): يا محمد، لا تعجَبَنَّ من هؤلاء اليهود الذين همُّوا أن يبسطوا أيديهم إليك وإلى أصحابك، ونكثوا العهدَ الذي بينك وبينهم، غدرًا منهم بك وبأصحابك، فإن ذلك من عاداتهم وعادات سَلَفهم، ومن ذلك أنِّي أخذت ميثاق سلفهم على عهد موسى (صلى الله عليه وسلم) على طاعتي، وبعثت منهم اثني عشر نقيبًا، ووعدتهم النصرَ عليهم، وأن أُورثهم أرضَهم وديارهم وأموالهم، بعد ما أريتهم من العِبَر والآيات- بإهلاك فرعون وقومِه في البحر، وفلق البحر لهم، وسائر العبر- ما أريتهم، فنقضوا مِيثاقهم الذي واثقوني ونكثوا عهدي، فلعنتُهم بنقضهم ميثاقهم.

فإذْ كان ذلك مِن فعل خِيارهم؛ فلا تستنكروا مثله من فِعل أرَاذلهم.

انتهى كلامه رحمه الله، باختصار يسير.

فصَبَرَ الرَّسولُ (صلى الله عليه وسلم) على اليهود وعفا وصفَح، حتَّى جاء الإذنُ الرَّبَّانيُّ بإجلائِهم من المدينة، ومُعاقبةِ ناقضي العَهدِ منهم.

***

وقال اللَّهُ تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا **وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور**﴾ (سورة آل عمران: ١٨٦).

والذين أوتوا الكتاب هم اليهود والنصارى، سماهم الله بذلك لأنهم أهل كتاب، والكتاب هو التوراة بالنسبة لليهود، والإنجيل بالنسبة للنصارى، وهذا فيه تشريف لهم.

***

وعن عبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ الله عنهما، أنَّ هذه الآيةَ التي في القُرآنِ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (سورة الأحزاب: ٤٥)، قال في التَّوراةِ: يا أيُّها النَّبيُّ إنَّا أرسَلْناك شاهِدًا ومُبَشِّرًا وحِرزًا للأُمِّيِّين، أنت عبدي ورسولي، سمَّيتُك المتوَكِّلَ، ليس بفَظٍّ ولا غليظٍ، ولا سَخَّابٍ بالأسواقِ، **ولا يدفعُ السَّيِّئةَ بالسَّيِّئةِ، ولكِنْ يعفو ويَصفَح**، ولَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حتَّى يُقِيمَ به المِلَّةَ العَوْجَاءَ، بأَنْ يقولوا: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ فَيَفْتَحَ بهَا أعْيُنًا عُمْيًا، وآذَانًا صُمًّا، وقُلُوبًا غُلْفًا.[1]

ومعنى الحديث أن صِفةِ رسولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) في التَّوراةِ موصوف بمثلها في القرآن.

---

١ رواه البخاري (٤٨٣٨).

قوله: (حِرزا للأميين) أي حِصنًا للأُمِّيينَ، وهم العرَبُ، يَتحصَّنونَ به مِن الشَّيطانِ، أو مِن سَطْوَةِ العَجَمِ وتَغَلُّبِهم، وسُمُّوا أُمِّيِّينَ لأنَّ أَغلَبَهم لا يَقرَؤونَ ولا يَكتُبون.

وقوله: (ولا سخاب بالأسواق)؛ السَّخب هو الصياح.

***

وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عنها قالت: ما ضرَب رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) شيئًا قطُّ بيَدِه، ولا امرأةً، ولا خادِمًا، إلَّا أن يجاهِدَ في سبيلِ اللهِ، وما نِيلَ منه شيءٌ قطُّ **فينتَقِمَ من صاحِبِه**، إلَّا أن يُنتَهَكَ شيءٌ من محارمِ اللهِ **فينتَقِمَ للهِ عزَّ وجَل**.[1]

ومعنى الحديث أن النبي (صلى الله عليه وسلم) لا ينتقم لنفسه، بل إذا انتقم انتقم لله تعالى، كأن يفعل أحد شيئا يوجب عقوبة نصَّ عليها الله في القرآن، فهنا يقيم عليه العقوبة والحد، ولا يفعل هذا لحظ نفسه، بل غيرة لله، لأنه انتهك حقا من حقوق الله، لأنه (عليه الصلاة والسلام) لا يفعل شيئا لحظ نفسه.

---

١ رواه مسلم (٢٣٢٨).

قبل الختام

يجد القارىء في القرآن حلولا لكل المصاعب التي تعرض لها الأنبياء وأتباعهم، ويجد فيه أيضا تسلية ووعدا بالنصر، ومن ذلك قوله تعالى لنبيه محمدا (صلى الله عليه وسلم): ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ **فَصَبَرُوا** عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا **وَأُوذُوا** حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (سورة الأنعام: ٣٤).

وتفسير الآية: ولقد كذَّب الكفارُ بالرسل الذين أرسلوا مِن قبلك يا محمد، أرسلهم الله إلى أممهم، ولكنهم كذبوهم وآذوهم، فصبر الرسل على الأذى ومضوا في دعوتهم وجهادهم حتى أتاهم نصر الله، ولا مبدل لكلمات الله، وهي ما أنزل الله على أنبيائه من الكلام المُنزَّل في كتبه، مِن وعده إياهم بالنصر على مَن عاداه.

ولقد جاءك -أيها الرسول- مِن خبرِ مَن كان قبلك من الرسل، وما تحقق لهم من نصر، وما جرى على مكذبيهم من نقمة وغضب، فلك فيمن تقدمك من الرسل أسوة وقدوة.

وفي هذه الآية تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم.

دلائل النبوة العقلية

الدليل الثالث: البشارة بانتشار دينه، وقد تحققت

١. من الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) **أنه كان يبشر بانتشار دينه**، وتحقق ذلك فعلا، مع أنه كان هو وأصحابه قلة مستضعفين في الأرض، فقد قال الصحابي خبَّاب بن الأرَت، رضي الله عنه: شكونا إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو مُتوسِّد بردةً له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟

فقال: ... **والله ليُتِمَّنَّ هذا الأمر** حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون.[١]

قوله: (ليُتِمَّنَّ الله هذا الأمر) أي دين الإسلام.

وقال (صلى الله عليه وسلم): **ليَبلُغَنَّ هذا الأمر** ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر (أي طين) ولا وبر (أي شعر) **إلا أدخله الله هذا الدين**، بِعِزِّ عزيز أو بذُل ذليل، عِزا يُعز الله به الإسلام، وذلا يُذل الله به الكفر.[٢]

فهذا اليقين بالبشرى هو من براهين صدق نبوته (صلى الله عليه وسلم).

إن هذا اليقين حصل في وقت الشدة والكَرب، ولا يكون إلا من نبي يوحى إليه ويعلم بصدق وعد الله له، لأن الكذاب المدعي للنبوة لا يتم أمره، بل يقطع الله دابره ويفضحه ولو بعد حين.

---

١ رواه البخاري (٣٦١٢).

٢ رواه أحمد (١٦٩٥٧)، وقال محققو «المسند»: إسناده صحيح على شرط مسلم.

وقد وعد الله في كتابه بظهور الدين، قال الله تعالى: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق **ليظهره على الدين كله** ولو كره المشركون﴾. (سورة الصف: ٩)

***

ولما هاجر النبي (صلى الله عليه وسلم) مع صاحبه أبي بكر رضي الله عنه؛ اختبآ في غار (ثور) ثلاث ليال قبل أن يسلكا طريق المدينة، ولما اقترب منهما بعض النفر من قريش ولم يعلموا بوجودهما في الغار خاف أبو بكر وقال: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال له النبي (صلى الله عليه وسلم) بقلب واثق بنَصر الله وحِفظِه: (ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما).[1]

وقال أبو بكر رضي الله عنه: فَارْتَحَلْنَا والقَوْمُ يَطْلُبُونَنَا، فَلَمْ يُدْرِكْنَا أحَدٌ منهمْ غَيْرُ سُرَاقَةَ بنِ مَالِكِ بنِ جُعْشُمٍ علَى فَرَسٍ له، فَقُلتُ: هذا الطَّلَبُ قدْ لَحِقَنَا يا رَسولَ اللَّهِ، فَقَالَ: **لا تَحْزَنْ إنَّ اللَّهَ معنَا**.[2]

***

والواقع المشاهَد يشهد بصحة ما أخبر به النبي (صلى الله عليه وسلم) في الحديث، فدين الإسلام انتشر من الصين شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، إلى

---

١ رواه البخاري (٣٦٥٣) ومسلم (٢٣٨١).

2 رواه البخاري (٣٦٥٢) ومسلم (٢٠٠٩)، واللفظ للبخاري.

الهند جنوبا، إلى شمال تركيا شمالا، كل هذا بعد وفاة محمد (صلى الله عليه وسلم)، فلو لم يكن نبيا يوحِي إليه الله تعالى، فمِن أين له معرفة حصول انتشار هذا الأمر بعد وفاته؟!

زِد على هذا أن الإحصائيات العالمية من المواقع الغربية، مثل موقع اليونسكو، تفيد بأن أكثر المتحولين من أديانهم المختلفة تحولوا إلى دين الإسلام، وهذا يشهد بصحة كلام النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) بتمام الأمر، وهذا دليل على نبوته.[1]

***

٢. ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) ثقته بالله تعالى، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يُحرس حتى نزلت هذه الآية ﴿والله يعصمك من الناس﴾؛ فأخرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رأسه من القبة فقال لهم: أيها الناس، انصرفوا، فقد عصمني الله.[2]

ثم صار يسير بدون حراسة، ويمشي بدون مرافق، وذلك مع كثرة المتربصين.

يا ترى، لو لم يكن محمد نبيا، مؤيد بالوحي، هل سيسير بدون حراسة؟!

---

١ انظر كتاب (براهين الرسالة – البراهين العقلية على نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم)، ص ٦٧، ١٣٧، تأليف أحمد بن غانم الأسدي، ط آفاق المعرفة.

٢ جامع الترمذي (٣٠٤٦)، وحسنه الألباني.

٣. ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) **أنه خاض حروبا غير متكافئة، فكان عدد المسلمين فيها أقل من النصف دائما من عدد أعدائه، وانتصر فيها**، إلا معركة حُنَين، فكان عدد المسلمين فيها أكثر، وانتصر فيها أيضا.

***

٤. ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) إسلام بعض قادة الجيوش التي كانت تحاربه، فقادة جيش المشركين في معركة أحد أسلموا **جميعا**، وهم خالد بن الوليد، وأبو سفيان بن حرب، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية، وعبد الله بن أبي ربيعة.

***

٥. ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) **أن انتصاراته التي بشر بها لم تُثِر كبرياءهُ**، لأنه كان يحارب من أجل الإسلام وليس من أجل مصالح شخصية، بل مع هذا الانتصار فقد حافظ على تواضعه الشديد في جميع أحواله، ولزم خلق العفو وعدم الانتقام ممن حاربوه لما تكونت له دولة قوية.

ومن الشواهد على ذلك ما ذكره عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ذهب إلى ذي طُوى، وهو وادٍ من أودية مكة، يقع في شمالها، قال: وإن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) **ليضع رأسه** (أي يخفضه) تواضعا

لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح، حتى إن عُثنونه (أي لحيته) ليكاد يمس واسطة الرحل (أي مقدمة الرحل).[1]

ومن المستشرقين المنصفين الذين أنصفوا النبي (صلى الله عليه وسلم) المستشرق الأمريكي واشنجتون إرفنج Washington Irving، ١٧٨٣ – ١٨٥٩م، الذي قال في كتابه (حياة محمد) ما مقتضاه أن **انتصارات الرسول محمد العسكرية لم تثر كبرياءهُ**، لأنه كان يحارب من أجل الإسلام، لا من أجل مصلحة شخصية، وحتى في أوجِ مجده حافظ على بساطته وتواضعه، كما كان في أيام اضطهاده في مكة، وكأن شيئا لم يتغير.

فالسيطرة الوحيدة التي كان يريد أن يراها على أصحابه هي سيطرة الإيمان، أما السلطة الأرضية التي صارت طوع إرادته فقد استخدمها للدين وليس لنفسه، وهذا لا يفعله إلا نبي.[٢]

***

1 انظر «سيرة ابن هشام»، باب «ذكر الأسباب الموجبة المسير إلى مكة وذِكر فتح مكة»، قال فيها: قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر، فذكره.

٢ انظر «محمد (صلى الله عليه وسلم) وخلفاؤه»، واشنطن إيرفنغ، ١٨٦٨م، ترجمة د. هاني يحيى نصري، ط ١٩٩٩م، ص ٤٦٠، الناشر: المركز الثقافي العربي – بيروت.

الدليل الرابع: سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) لا تنطبق إلا على نبي

***

- من الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم)؛ **سيرته**، فإنّها تدل على أنّها سيرة نبي، ولا تنطبق إلا على نبي، وقد تجلى ذلك للذين عرفوه معرفة مباشرة برؤيته أو بسماع أخباره أو بقراءة سيرته؛ فتَبَيَّنَ لهم أن مَن كان هذا حاله فلا يُمْكِنُ أنْ يكون مُدَّعيا ولا مُتقوِّلًا على ربه.

***

ثم إنه لا يوجد **موقف واحد** في سيرته السابقة يعيبه، بل كان متحليا بصفات الخير، كما قالت خديجة رضي الله عنها له: والله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.[1]

***

ثم إن النبي (صلى الله عليه وسلم) لم تذكر له في سيرته هفوة طيلة حياته، بالرغم من أنه حفت به ظروف تضطر الإنسان إلى ارتكاب الأخطاء والزلات، أهم هذه الظروف هي كثرة أزواجه وكثرة أولاده وكثرة أصحابه وكثرة أعدائه

---

١ رواه البخاري (٢) ومسلم (١٦٠)، واللفظ له.

وتنوعهم وكثرة معاركه، فمع هذا كله فلم يسجل التاريخ أنه نكث عهدا أو كذب كذبة، بل وصفه بالصدق والأمانة مستمر إلى يومنا هذا!

***

- ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أنه لو كان يُبطِن سوءا لظهر ذلك ولو مرة واحدة من خلال سيرته، لأن الأمر كما قيل:

ومهما تكن عند امرىء من خليقةٍ ولو خالها تخفى على الناس تُعلم

***

- ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) التوازن في حياته كما دلت عليه سيرته، فلم يكن جانب يطغى على جانب، فلم تشغله الدعوة عن أسرته، ولم يشغله أصحابه عن نفسه، ولم يشغله ضيوفه عن عباداته، وهَلُم جرا.[1]

وقد أرشد النبي (صلى الله عليه وسلم) أصحابه إلى مبدأ التوازن في الحياة، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قَالَ لِي رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: يا عَبْدَ اللَّهِ، أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ، وتَقُومُ اللَّيْلَ؟، فَقُلتُ: بَلَى يا رَسولَ اللَّهِ. قَالَ: فلا تَفْعَلْ، صُمْ وأَفْطِرْ، وقُمْ ونَمْ، فإن لجسدك عليك حقا، وإن

١ انظر كتاب (براهين الرسالة – البراهين العقلية على نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم)، ص ٨٣، تأليف أحمد بن غانم الأسدي، ط آفاق المعرفة.

لعينك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا، وإن لِزورِك (أي زائرك) عليك حقا.[1]

***

- ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أنه اجتمع فيه عوامل الكمال المعتبر في الإنسان كما دلت على هذا سيرته العطرة، وهي أربعة: كمال الخَلق، وكمال الخُلُق، وكمال الأقوال، وكمال الأعمال.[2]

***

فالحاصل (أنه قد اجتمع فيه (صلى الله عليه وسلم) من الأخلاق العظيمة والأوصاف الجليلة، والكمالات العملية والعلمية، والمحاسن الراجعة إلى النفس والبدن والنسب والوطن؛ **ما يجزم العقل بأنه لا يجتمع في غير نبي**، فإن كل واحد منها وإن كان يوجد في غير النبي، لكن مجموعها مما لا يحصل إلا للأنبياء، فاجتماعها في ذاته (صلى الله عليه وسلم) **من دلائل النبوة**.
وقد أقر المخالفون بوجود هذه المحاسن والأخلاق العظيمة في ذاته (صلى الله عليه وسلم)).[3]

---

١ رواه البخاري (١٩٧٥) ومسلم (١١٥٩).

٢ انظر كتاب (براهين الرسالة – البراهين العقلية على نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم)، ص ٦٦، تأليف أحمد بن غانم الأسدي، ط آفاق المعرفة.

٣ مختصر (إظهار الحق) لرحمت الله الهندي، اختصار د. محمد ملكاوي، باختصار يسير، الباب الرابع: إثبات نبوة نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم)، المسلك الثاني.

- ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أن سيرته محفوظة بالتفاصيل الدقيقة، فلا يُعرف في تاريخ الأمم منذ القدم أن إنسانا نال اهتماما بسيرته مِن قبل ولادته إلى ما بعد وفاته بقرون إلا هو (صلى الله عليه وسلم)، فقد دُوِّنت في سيرته تفاصيل حياته، ودقائق أحواله، وصفة جسمه، وطريقة مشيه، وكلامه إذا تكلم، وتلاوته إذا قرأ، وصلاته إذا صلى، وملابسه التي يلبسها، وماذا يشتهي من الأكل، وما لا يشتهي، وصفة بيته الذي كان يسكنه.[1]

وبهذا كان النبي (صلى الله عليه وسلم) كتابا مفتوحا لكل مُسترشدٍ وطالب للهداية الربانية إلى نهاية الدنيا.

***

قال أبو الحسن علي الحسني الندَوي[2] رحمه الله في كتابه «النبي الخاتَم»:

«ولما كان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو القدوة الصالحة والأسوة الحسنة لطبقات الناس جميعاً، وللأجيال البشرية على اختلاف الزمان والمكان؛ اتجهت عناية الله إلى حفظ أخباره وآثاره وصفاته وأخلاقه وعاداته وتصرفاته، وصرف الله قلوب المسلمين إلى تتبع كل ما

---

١ انظر (براهين الرسالة – البراهين العقلية على نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم)، ص ١٥، ١٣٩، تأليف أحمد بن غانم الأسدي، ط آفاق المعرفة.

٢ أبو الحسن الندوي مفكر إسلامي وداعية هندي ولد عام ١٣٣٣ هـ وتوفي في رمضان ١٤٢٠ هـ.

يصدر عنه من حركة وسكون، وأخذٍ ورد، وعادة وعبادة، وألهمهم الاعتناء به اعتناءً لا مزيد عليه، كأن سائقاً يسوقُهم إلى ذلك.

وقد تجلت هذه العناية الإلهية بكل وضوح في الحديث والسيرة وفي كتب الشمائل، وفيما أُثِر عن الوصّافين الحاذقين من أصحابه وأهل بيته في صفته التي لم تَحفظ كتب الآداب والتاريخ والأنساب صفة أكثر منها دقة، وأعظم منها استيعاباً للملامح البشرية والدقائق الخَلقية، ونظرة عابرة في شمائل الإمام أبي عيسى الترمذي (٢٠٩- ٢٧٩ هـ) — على سبيل المثال — تكفي للإيمان بأن هذا الاهتمام البليغ الخارق للعادة بتسجيل دقائق الخَلْق والخُلُق، والعادات والعبادات، والأقوال والأفعال، وكل ما يتصل بهذه الشخصية الكريمة اتصالا يتصوره الذهن الإنساني، وفي بسط وتفصيل، لا نظير لهما في سير الأنبياء ولا في تاريخ العظماء لم يكن مجرد مصادفة، ولا وليد الاتجاه الشخصي، والعمل الفردي.

وكذلك من تصفح كتاب «الأدب المفرد» للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (١٩٤- ٢٥٦ هـ) الذي خَصه مؤلِّفه العظيم بما ورد في الآداب الإسلامية، ومكارم الأخلاق، وحسن العشرة والاجتماع، وحقوق الصحبة، وتهذيب النفس، وأدب الحياة، معتمداً في كل ذلك على ما صح عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ونُقِل عنه؛ عَلِم عِلْم اليقين أنها لم تكن فَلتة من فلتات الدهر، إنما هو تقدير العزيز العليم ليتحقق العمل في كل عصر وجيل بقوله تعالى ﴿لقد كان لكم في رسول

الله أسوة حسنة﴾[1]، وقوله ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾[2]، ولئلا يكون لمتعلل بانقراض الآثار وانقطاع الأخبار عذر في ترك الائتساء والاقتداء، كما هو الشأن في قضية الأنبياء الذين لم يبق لبعضهم إلا الاسم أو أخبار مبتورة لا تكفي للاقتداء والاقتفاء.

أما الحديث النبوي فيصح أن يسمى «سجل الوقائع اليومية»، وشِبه مذكرات — إذا صح هذا التعبير– لمدة ثلاث وعشرين سنة قضاها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد ما أكرمه الله بالنبوة على ظهر الأرض، تُرِينا كيف كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يعيش في هذه الحياة، كيف كان يقضي نهاره وليله، ونعرف عنه من دقائق الأخلاق والعادات، والميول والرغبات، والقول والعمل، مالا نعرفه عن كثير من الشخصيات التي عاشت قريباً، بل عن الشخصيات المعاصِرة أحياناً، وهو مجموع صور ناطقة يتعرف بها الإنسان بنبيه، ويسعد بصحبته ، وكأنه حضر مجلسه، واستمع لحديثه، وعاش معه، وكان ذلك أبعثُ على الإقتداء، وأبعد عن مضار الوثنية، وعبادة التماثيل مما جرت عليه الأمم القديمة، من تصوير أنبيائها ونحت تماثيلهم.

وحسبُ القارئ أن يقرأ قصة حجة الوداع في كتب الحديث، فقد سجل الرواة فيها كل دقيقة من دقائق هذه الرحلة، وكل حادثة من حوادثها التي

---

١ سورة الأحزاب: ٢١ .

٢ سورة آل عمران: ٣١ .

لا تسترعي الانتباه، وليست لها قيمة تاريخية كبيرة، ولا يُحتفل بأمثالها في رحلات العظماء والرؤساء والملوك والأمراء والعلماء والنُّبغاء.

وبفضل هذه الثروة الحديثية استطاع المؤلفون الحاذقون في مختلف العصور والبقاع أن يؤلفوا للمسلمين كتباً تكون دستوراً كاملاً لحياتهم، حتى إذا أراد المسلم – مهما كانت مهنته وطبقته– ألا يخطو خطوة ولا يبِت في أمر ولا يمارس نشاطه إلا في ضوء الهدي النبوي؛ أمكنه ذلك.

والكتب التي ألفت في هذا الموضوع كثيرة، وفي أكثر لغات العالم الإسلامي، وهي بين بسيط ووسيط ووجيز، أحسنها «زاد المعاد في هدى خير العباد» للعلامة ابن قيم الجوزية (٦٩١ – ٧٥١ هـ) أنبغ تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، وأحد أعلام الأمة.

ويتجلى هذا السر الإلٰهي في وضوح هذه السيرة وخلودها وكونها بمتناول المؤتسين والمقتدين إذا قارن الإنسان بين هذه السيرة وبين سير الأنبياء السابقين وحياتهم، فأكثرها توارت في ظلمات الجهل والإهمال، والحوادث التاريخية الدامية، وقد أدَّت رسالتها في فترة زمنية خاصة، ثم لم تبق حاجة إلى الاحتفاظ بها، وإلى أن تتوارثها الأجيال، ويكفينا أن نستعرض حياة سيدنا المسيح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، فكان آخر الأنبياء قبل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وتنتسب إليه أمة عُرِف شغفها بالعلم والتأليف، وإفراطها في حب نبيها، وإطراؤها له إطراءً بلغ حد التأليه والتقديس، ولكنها لم تستطع أن تعرض على العالم إلا نُتَفاً من أخباره وأقواله التي لا تُكَوِّن هيكلاً من حياة بشرية كاملة، يقلده الإنسان في

حياته الفردية، أو يسير في ضوئه مجتمع فاضل، وقد كان الاعتقاد السائد في العالم المسيحي قبل أيام أن «العهد الجديد» يتضمن أخبار السنوات الثلاث الأخيرة من سيرة المسيح وأخباره، فانتهى تحقيق الباحثين وأصحاب الاختصاص في الموضوع في الزمن الأخير إلى أنها لا تتجاوز أخبار خمسين يوماً من حياته لا أكثر ولا أقل.

أما الأنبياء الآخرون، وعظماء الملل والديانات السابقة، فيصح القول بأن أخبارهم وصور حياتهم مطمورة في ركام الماضي، وهنالِك حلقات رئيسية لا يكمُل بغيرها التاريخ، ولا يتسنى بدونها الاقتداء والتقليد، مفقودة لا يمكن البحث عنها والاهتداء إليها في هذا العصر المتأخر، وهذا عين ما تقتضيه الحكمة الإلهية ومنطق الأشياء، فالمُثُل الإنسانية لم تكن لها أعمار طبيعية وحيوية محدودة، فإذا انتهت لم تكن مصلحة في تناقلها، أما ما كانت الحاجة إليه قائمة دائمة فبَقَّى على اختلاف الزمان والمكان، واستمر وانتشر، وأورق وأثمر.

ومن قرأ ما ورد من الآداب والأحكام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سورة الأحزاب، وفي سورة الحجرات، وفي سورة التحريم، وفي سورة المجادلة، وما ورد من تكريم الله تعالى له ونِعمه عليه في سورة الفتح، وسورة الضحى، والانشراح؛ عَرَف بدلالة العقل وسلامة الذوق أنها نعوت نبي قد بعث للأجيال كلها، وللعصور كلها، وأن شمس رسالته لا تقبل الكسوف، وأن نجمه لا يقبل الأفول».

انتهى كلام أبي الحسن علي الحسني الندَوي رحمه الله في كتابه «النبي الخاتَم»[1].

١ ص ١٢ – ١٧ ، باختصار وتصرف يسير، الناشر: دار الكلمة – مصر.

استطراد

محمد (صلى الله عليه وسلم)؛ كتابٌ مفتوح على مر القرون إلى نهاية الدنيا[1]

مقدمة

ومن دلائل عِظم قدره (صلى الله عليه وسلم) أن سيرته وحياته تُـعَـدُّ كتابا مفتوحا لكل قارئ ومسترشد إلى نهاية العالم، فهو النبي الوحيد الذي يعرف الناس عنه كل شيء، حتى ما يدور داخل غُـرَف نومه وحياته الزوجية، فلم يُخفِ شيئا من حياته العامة أو الخاصة، لماذا؟ لأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، ولابد لمن كان كذلك أن لا يَخفى من أمره شيء، حتى يتأسى الناس بكل جانب من جوانب حياته إلى آخر الزمان.

لقد ذُهل أحد اليهود من شمولية تعاليم النبي (صلى الله عليه وسلم) وتغطيتها لكافة مناحي الحياة وأركانها، فقال لبعض المسلمين: علَّمكم نبيكم كل شيء، حتى الخِراءة[2]، فقال: أجل، لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائِط أو بول، أو أن نستنجي

---

١ هذا فصل مهم، انتقيته من الكتاب المفيد: «من أسرار عظمة الرسول (صلى الله عليه وسلم) »، ص ٤١-٥٠، لمؤلفه: خالد أبو صالح، الناشر: مدار الوطن للنشر – الرياض، وقد اختصرت منه وعدلت فيه وزدت عليه من مصادر علمية أشرت إليها في مظانِّها.

٢ أي آداب قضاء الحاجة.

باليمين[1]، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيعٍ[2] أو عظمٍ.[3]

ولكي يُتِم الله تعالى نشر هذه الفضائل والمكارم، قـيَّــض للنبي (صلى الله عليه وسلم) أصحابا أمناء، وزوجات فاضلات، نقلوا كل شيء سمعوه من نبيهم ورأوه منه في سفره وإقامته، في حِـلِّـهِ وترحاله، في أمنه وخوفه، في يُسره وعُسره، في سِلمه وحربه، في عبادته وأخلاقه، في بيعـه وشرائه، ماذا كان يقول عند النوم، ماذا كان يقول عند اليقظة، ماذا كان يقول عند القلق، ماذا كان يقول عند الأرق، ماذا كان يقول عند الفزع، ماذا كان يقول عند دخول الحمام والخروج منه، وعند دخول المنزل والخروج منه، وعند دخول السوق، وعند رؤية الهلال، وعند نزول المطر، وعند لبس الثوب الجديد، وعند رؤية أهل البلاء، وعند الوُضوء، وبعد الفراغ من الوضوء، وعند استفتاح الصلاة، وأثناء الصلاة، وبعد الصلاة، حتى عند جِماع الزوجة، فقد رووا عنه أنه (صلى الله عليه وسلم) قال: لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: (بسم الله، اللهم جنِّـبـنـي الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا)، فإنه إن يُقدَّر بينهما ولدٌ في ذلك لم يضرَّه شيطان أبدا.[4]

---

١ الاستنجاء هو التنظف بالماء من البول أو الغائط، ومعنى العبارة هو أن النبي (صلى الله عليه وسلم) نهى عن استعمال اليد اليمنى في الاستنجاء، وإنما يستعمل المسلم اليد اليسرى، لأن اليد اليمنى مُكَرّمـَة.

٢ الرجيع هو روث الدابة.

٣ رواه مسلم (٢٦٢).

٤ رواه البخاري (٥١٦٥) ومسلم (١٤٣٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما، واللفظ لمسلم.

وفيما يلي فهرساً لكتابٍ واحدٍ من الكتب المتعلقة بسيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) ليعرف القارئ إلى أي حد تكفل الله بحفظ كافة تفاصيل حياة النبي (صلى الله عليه وسلم)، ليتمكنوا من الاقتداء به.

هذا الفهرس هو لكتاب «زاد المعاد في هدي خير العباد» للإمام ابن القيم رحمه الله، ذكر فيه كل ما يتعلق بهدي النبي (صلى الله عليه وسلم) وسنته في عباداته ومعاملاته وأخلاقه وآدابه وشؤونه اليومية، مما يدل على تميز الشريعة الإسلامية بحفظ سيرة نبيها وتدوينها تدوينا دقيقا، وهو مقسم على ما يزيد على ثمانين فصلا، وهي كالتالي:

١- في ذكر نسبه

٢- كيفية تربيته ووفاة والديه

٣- ذكر مبعثه ومراتب الوحي

٤- في ختانه

٥- في ذِكر مرضعاته

٦- في ذِكر حَـوَاضِنه[١]

٧- في مبعثه نبيا وأول ما نزل عليه من الوحي

٨- في ذِكر أسمائه

٩- في ذِكر أولاده

١٠- في ذِكر أعمامه وعماته

١١- في ذِكر أزواجه

---

١ حواضنه أي النساء اللاتي احتضنَّه لما كان صغيرا يتيما.

١٢- في ذِكر خُـدَّامه

١٣- في ذِكر كُتّابه

١٤- في ذِكر كتبه ورسله إلى الملوك

١٥- في ذِكر مؤذِّنيه الذين كانوا يؤذنون للصلاة

١٦- في ذِكر أُمرائه الذين كان يستعملهم على البلدان

١٧- في ذِكر حَرسه

١٨- في ذِكر من استعمل على نفقاته ومن كان يَـأْذِنُ عليه[١]

١٩- في ذِكر شعرائه وخطبائه

٢٠- في ذِكر حُداتِه[٢] الذين كانوا يَحدون بين يديه في السفر

٢١- في ذِكر غزواته وبعوثه وسراياه

٢٢- في ذِكر سلاحه وأثاثه

٢٣- في ذِكر دوابّه

٢٤- في ذِكر ملابسه

٢٥- في ذِكر عِمامته وسراويله ونعله وخاتمه وغير ذلك

٢٦- في ذِكر هديه في الأكل والشرب

٢٧- في ذِكر هديه في النكاح ومعاشرة أهله

---

١ أي الذي يأذِن للناس بالدخول عليه في بيته. راجع الزاد أفضل

٢ حُداة جمع حادي، والحادي هو الذي ينشد الشعر في السفر بصوت جميل لتنشط الإبل على المسير.

٢٨- في ذِكر هديه وسيرته في نومه وانتباهه

٢٩- في ذِكر هديه في ركوب دابته

٣٠- هديه في اتخاذ الغَنم ومعاملة الإماء والعبيد

٣١- هديه في بيعه وشرائه ومعاملاته

٣٢- هديه في مسابقته

٣٣- هديه في معاملته

٣٤- هديه في مشيه وحده أو مع أصحابه

٣٥- هديه في جلوسه واتكائه

٣٦- هديه عند قضاء الحاجة

٣٧- هديه في الفطرة (قص الشارب، تقليم الأظفار، حلق العانة، نتف الإبط وغير ذلك)

٣٨- هديه في كلامه وسكوته

٣٩- هديه في خُطبه

٤٠- هديه في الوضوء والأذكار الصلاة

٤١- هديه في الصلاة

٤٢- هديه في السُّنن الرواتب والتطوعات في الحضر والسفر

٤٣- هديه في قيام الليل

٤٤- هديه في قراءة القرآن وترتيله

٤٥- هديه في صلاة الضحى

٤٦- هديه في سجود الشكر

٤٧- هديه في سجود القرآن

٤٨- هديه في صلاة الجمعة

٤٩- هديه في العيدين

٥٠- هديه في صلاة الكسوف

٥١- هديه في الاستسقاء (الصلاة لطلب نزول المطر)

٥٢- هديه في السفر وعبادته فيه

٥٣- هديه في عيادة المرضى

٥٤- هديه في الجنائز والقبور والتعزية

٥٥- هديه في صلاة الخوف

٥٦- هديه في الصدقة والزكاة وإنفاق المال

٥٧- هديه في الصيام

٥٨- هديه في الحج والعمرة

٥٩- هديه في الذبح، أي ذبح البهيمة للأكل

٦٠- هديه في تسمية المولود وخِتانه

٦١- هديه في الأسماء والكُنى

٦٢- هديه في الأذكار المطلقة والمقيدة

٦٣- هديه في السلام

٦٤- هديه في الاستئذان

٦٥- هديه في العطاس والتثاؤب

٦٦- هديه عند الغضب

٦٧- هديه في الجهاد والغزوات

٦٨- هديه في إعداد العدة واتخاذ الوسائل للحرب

٦٩- هديه في معاملة الأُسارى

٧٠- هديه في عقود الأمان، ومعاهدات الصلح، ومعاملة رسل الكفار، وأخذ الجزية، ومعاملة أهل الكتاب والمنافقين

٧١- هديه في عقد الذمة وأخذ الجزية

٧٢- هديه في مكاتباته إلى الملوك وغيرهم

٧٣- هديه في علاج أمراض القلب (النفس) وأمراض البدن ومن ذلك: علاج الحمى، والإسهال، والطاعون، والاستسقاء، والجروح، والحِجامة، والصَّرع، وعرق النسا، والصداع، والحكة، والرمد، والأورام والخُـرَّاجات، والسُّم، والقرحة، واللدغة، وغير ذلك

٧٤- هديه في علاج الهم والحزن والأرق

٧٥- هديه في علاج المصائب

٧٦- هديه في حفظ الصحة

٧٧- هديه في تدبير أمر المَسكن

٧٨- هديه في النوم واليقظة

٧٩- هديه في الرياضة

٨٠- هديه في الجِماع

٨١- هديه في علاج العشق

٨٢- هديه في الأقضية والأحكام في مختلف القضايا،كالسرقة، والزنا، والأسرى، وقسمة الغنائم، وعقوبة الساحر، والنكاح، والطلاق، والخلع، والأنساب، والحضانة، والنفقة، والرضاع، والإحداد، والبيوع.

انتهى النقل من فهرست كتاب «زاد المعاد في هدي خير العباد».

***

- ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) كثرة ما صنف في سيرته من مؤلفات، وما عُمِل عليها من ترجمات، فإنه لا تمر فترة زمنية إلا وصدرت دراسة في شخصيته من جهةٍ تعليميةٍ مسلمةٍ أو غير مسلمة، حتى بلغت المؤلفات في سيرته ما يزيد على المئة مؤلفا، أمّا الترجمات للسيرة النبوية فالله أعلم بعددها.

قال القاضي عياض رحمه الله: وحسبك سَيره وآثاره وكلامه وأفعاله مجموعة معتنى بها على مر الزمان، يتداول نقلها الموافق والمخالف، ويرويها الموقن والمرتاب، فلم يأتِ في شيء منها استدراك غلط في قول، ولا اعتراف بوهم في كلمة، ولو كان لنُقل كما نُقل سهوه في الصلاة ونومه عنها.[1]

---

١ إكمال المعلم (٢/٥١٤).

وقال الأديب الرافعي: ليس في التاريخ العربي كله من جُمعت صفاته وأحصيت شمائله وتواتر النقل بذلك جميعه من طرق مختلفة على توثق إسنادها غير النبي (صلى الله عليه وسلم).[1]

فلو لم يكن محمد نبيا لما اعتنت القرون بسيرته، وهذا هو الشاهد.

***

- ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) عدم وجود الغموض في سيرته، وبيان ذلك أنه ما من عظيم إلا كانت له نواحٍ يحرص على سترها وكتمان أمرها، ويخشى أن يطلع الناس عليها، كالخلافات الأسرية وطرق حلها، أو مواقف الضعف التي مر بها، أو النواحي الخاصة بآداب قضاء الحاجة، أما النبي (صلى الله عليه وسلم) فهو وحده من العظماء الذي كشف سيرته للناس جميعا، فكان كتابا مفتوحا، ولم يرد يوما عن زوجة من زوجاته أنها قالت لمن سألها عن حياة النبي (صلى الله عليه وسلم): (هذا شأن خاص بيننا)، فهذا الوضوح وعدم الغموض يدل على أنه نبي يقتدى به.[2]

---

١ تاريخ آداب العرب (٢/١٩٠).

٢ انظر (براهين الرسالة – البراهين العقلية على نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم)، ص ٩٣، تأليف أحمد بن غانم الأسدي، ط آفاق المعرفة.

خاتمة

صدق الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله إذ قال إن النبي (صلى الله عليه وسلم) ترك سيرة عجز عظماء العالم جميعهم أن يأتوا بمثلها.[1]

***

وقال ابن حزم رحمه الله: إن سيرة محمد (صلى الله عليه وسلم) لِمن تدبرها تقتضي تصديقه ضرورة، **وتشهد له بأنه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حقا**، فلو لم تكن له معجزة غير سيرته لكفى.[2]

---

١ (تعريف عام بدين الإسلام)، ص ١٨٧.

٢ (الفصل بين الملل والنحل) (٣٤٢/١).

دلائل النبوة العقلية

الدليل الخامس: صدقه

***

- من الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) ظهور الصدق على وجهه، قال هذا حبر من أحبار اليهود قبل إسلامه، وهو عبد الله بن سلام، فإنه لما قدم النبي (صلى الله عليه وسلم) المدينة؛ أقبل الناس عليه، وهم يقولون (قَدِم رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، قَدِم رسول الله، قَدِم رسول الله)، قال عبد الله: فجئت في الناس لأنظر، فلما تبينتُ وجهَه، **عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب**، فكان أول شيء سمعته تكلم به: يا أيها الناس، أفشوا السلام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام.[1]

***

وقبيلته قريش لم تكن تتهمه بالكذب، فقد سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان عن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، وكان أبو سفيان في رحلة تجارة إلى الشام، فسأله عنه: (هل كنتم تتهمونه بالكذب؟)، فقال: لا. فقال هرقل: (ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله).[2]

---

١ رواه ابن ماجه (٣٢٥١)، وصححه الشيخ شعيب.

٢ رواه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣)، واللفظ للبخاري.

وذكر القرطبي عند تفسير قول الله تعالى: ﴿وختم على سمعه وقلبه﴾: قال مقاتل: نزلت في أبي جهل، وذلك أنه طاف بالبيت ذات ليلة ومعه الوليد بن المغيرة، فتحدثا في شأن النبي (صلى الله عليه وسلم)، فقال أبو جهل: والله إني لأعلم إنه **لصادق!** فقال له: مه! وما دلَّك على ذلك؟ قال: يا أبا عبد شمس، كنا نسميه في صباه (**الصادق الأمين**)، فلما تم عقله وكمُل رشده، نسميه الكذاب الخائن؟! والله إني لأعلم إنه لصادق.

قال: فما يمنعك أن تصدقه وتؤمن به؟

قال: تتحدث عني بنات قريش أني قد اتبعت يتيم أبي طالب من أجل كَسرة[1]، واللات والعزى إن اتبعته أبدا[2]، فنزلت: ﴿وختم على سمعه وقلبه﴾.

***

ومن أشهر ما يدل على ثقة قريش به قبل بعثته نبيا أنهم حكموه في حادثة وضع الحجر الأسود في مكانه من الكعبة، وذلك أن الكعبة بُنيت على زمان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وفي زمن قريش حصل أن تصدع بناؤها، فخافت قريش أن تنهدم الكعبة، فتشاوروا في ذلك، واتخذوا قرارًا أن يهدموا الكعبة ويعيدوا بناءها، وكانت قريش تجد في ذلك شرفاً عظيماً، وحين انتهوا من بناء الكعبة، بقي أن يضعوا الحجر الأسود في مكانه منها، ويقع في الركن الجنوبي، وهو شرف عظيم، يتوق له كل شخص، ولذلك أرادت كل قبيلة من قبائل قريش أن يكون لهم هذا الشرف، فتنازعوا ولم يتفقوا، فقالوا: اجعلوا

---

١ الكَسرة هي الهزيمة، يعني أني لن أتبعه لئلا أظهر كالمهزوم أمام قريش.

٢ يعني أنه لن يتبعه أبدا.

بينكم حكما، قالوا: أول رجل يطلع من الفج. فجاء النبي (صلى الله عليه وسلم) فقالوا: أتاكم **الأمين**، فكلموه في أمرهم، فوضعه في ثوب، ثم دعا بطونهم، (أي بطون قريش)، فأخذوا بنواحيه معه، فوضعه هو (صلى الله عليه وسلم).[1]

فكان هذا الشرف من نصيب الرسول (صلى الله عليه وسلم).

***

فالحاصل أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يُلقب بالصادق الأمين قبل البعثة.[2]

***

- ومن الدلائل العقلية على أن محمدا (صلى الله عليه وسلم) كان نبيا أن قومه لم يشكوا في صدقه ونزاهته ولم يطعنوا بها لما قال لهم إنه نبي، هذا بالرغم من شدة عداوتهم له، فلم يقل أحد منهم يوما إن محمدا كان يسير بالكذب والخيانة بين الناس، مثلا.

ولا يخفى على القارىء الكريم أن الدافع الذي دعا الكفار لإنكار نبوته وتكذيبه هو محاربته لدين الأجداد الذي كانوا متمسكين به، وليس الشك في صدقه وأمانته.

---

١ رواه أحمد (٤٢٥/٣)، وصححه محققو (المسند) برقم (١٥٥٠٣)، وحسنه الألباني في (صحيح السيرة)، ص ٤٥ .

٢ جزم بهذا ابن تيمية رحمه الله في (درء تعارض العقل والنقل) (٤٥/٨).

***

ولما قرر النبي (صلى الله عليه وسلم) الهجرة من مكة إلى المدينة هروبا من خطر القتل الذي تهدد به قريش؛ **رد الودائع والأمانات التي كانت عنده لقريش،** التي تعاديه، فلم يأخذها ولم يُهملها، بل وَكَّل علي بن أبي طالب ليردها لأصحابها، **فأي أمانة أعظم من هذه؟!**

***

- ومن الدلائل العقلية على أن محمدا (صلى الله عليه وسلم) كان صادقا ولم يكن مخادعا أن الخداع والكذب لا يثمر حضارة وأمة تمتد أربعة عشر قرنا.

وبيان ذلك أن أحدا لا يستطيع خداع الناس لفترة تربو على العشرين عاما، فإنه لو قُدِّر لشخص أن يُظهر خلاف ما يُبطن لبعض الوقت؛ فإنه لن ينجح في ذلك لفترة طويلة وستظهر أمارات كذبه، لاسيما لو كان في المتبعين لدعوته ذوو نظر ثاقب وكياسة وحُنكة، كأبي بكر وعمر وأبي عبيدة.

بل إن من ناصبوه العداء اعتنقوا دينه بعدما تبينوا صدقه، كأبي سفيان، وعكرمة، وخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وغيرهم.

ومن ذلك أيضا أن خواصه والمقربين منه كأزواجه وأكابر أصحابه كانوا أشد الناس موالاة له في الظاهر والباطن في حياته وبعد موته، ولو بدا منه ما يدعو إلى تكذيبه لبادروا إلى ذلك وانفضوا عنه.

***

إن مِن أشهر من كَتب عن النبي (صلى الله عليه وسلم) على وجه الإنصاف «توماس كارليل»، الفيلسوف الإنجليزي المشهور، عاش في الفترة ما بين ١٧٩٥ – ١٨٨١م، حاز على جائزة نوبل، تكلم عن النبي محمد (صلى الله

عليه وسلم) في كتابه «الأبطال» كلامًا طويلاً، خاطب به قومه من النصارى، وقد أشار بوضوح إلى صدق النبي (صلى الله عليه وسلم) في نبوته، وإلى عظمة النبي (صلى الله عليه وسلم) في جميع جوانب حياته وشخصيته، فكان من قوله في الكتاب المذكور، كما في ص ٥٤:

«لقد أصبح من أكبر العار على أي فردٍ متمدن من أبناء هذا العصر أن يُصغِي إلى ما يُظَن من أن **دين الإسلام كَذِب، وأن محمدًا خدَّاعٌ مزوِّر**.

وآن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة، فإن الرسالة التي أدَّاها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرنا لنحو مائتي مليون من الناس.[1]

أيظن أحدكم أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والإحصاء **أكذوبة وخدعة؟!**

أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبدًا، فلو أن الكذب والغشَّ يَرُوجان عند خلق الله هذا الرواج، ويصادفان منهم مثل ذلك التصديق والقبول؛ فما الناس إلا بُلْهٌ مجانين.

فواأسفاه ما أسوأ هذا الزعم، وما أضعف أهله وأحقهم بالرثاء والرحمة!

... هل رأيتم قط معشر الإخوان أن رجلًا كاذبًا يستطيع أن يوجد دينًا وينشره؟!

---

١ قوله: (... مدة اثني عشر قرنا لنحو مائتي مليون من الناس)؛ هذا في زمانه، فقد توفي عام ١٨٨١م، وفي زماننا في الألفية الثالثة فقد تجاوز المسلمون المليارين ولله الحمد.

عجبا والله، إن الرجل الكاذب لا يقدر أن يبني بيتًا من الطوب، فهو إذا لم يكن عليمًا بخصائص الجير والجصّ والتراب وما شاكل ذلك فما الذي يبنيه ببيتٍ، وإنما هو تلٌّ من الأنقاض، وكثيب من أخلاط المواد، نعم! وليس جديرًا أن يبقى على دعائمه اثني عشر قرنًا، يسكنه مائتا مليون من الأنفس[1]، ولكنه جدير أن تنهار أركانه فينهدم، فكأنه لم يكن».

ثم قال: «وعلى ذلك فلسنا نعُدُّ محمدًا هذا قط رجلًا **كاذبًا** متصنعًا، يتذرع بالحيل والوسائل إلى بغيته، أو يطمح إلى درجة ملكٍ أو سلطان، أو إلى غير ذلك من الحقائر والصغائر.

وما الرسالة التي أدَّاها إلا حقٌّ صُرَاح، وما كلمته إلا صوتٌ صادقٌ صادر من العالم المجهول.

كلَّا، ما محمد **بالكاذب**، ولا المُلفِّق ... وهذه حقيقة تدفع كلَّ باطل، وتدحض حجةَ القوم الكافرين.

ثم قال كما في ص ٦٧:

«ثم لا ننسَ شيئًا آخر، **وهو أنه لم يتلق دروسًا على أستاذٍ أبدًا ... ولم يقتبس محمد من نور أي إنسانٍ آخر، ولم يغترف من مناهل غيره، ولم يك في جميع أشباهه إلا من الأنبياء والعظماء، أولئك الذي أُشبّههم بالمصابيح الهادية في ظلمات الدهور**»[2]. انتهى باختصار وتصرف يسير.

---

١ انظر الهامش السابق.

٢ «الأبطال»، تعريب: محمد السباعي، وقد طبع عام ١٣٤٩ هجري – ١٩٣٠ م، وهو منشور في شبكة المعلومات بعنوانه (الأبطال).

من الجدير بالذكر أن توماس كارليل Thomas Carlyle كاتب اسكوتلندي، له كتاب «الأبطال»، اعترف فيه بنبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) وعظمته. انظر ترجمته في wikepedia.org .

***

- ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) وصدقه في دعوته أنه كان يعبد الله في السر، وذلك في جوف الليل، ولو كان كاذبا –وحاشاه من ذلك– فلا يمكن أن يحصل ذلك منه، بأن يترك لذيذ الرقاد ويقوم كل ليلة في منتصفها ويعبد الله ويناجيه لساعات حتى فارق الدنيا، لأن الكاذب يبحث عن متعة نفسه وحظوظها.

***

- ومن الدلائل العقلية على صدق محمد (صلى الله عليه وسلم) في نبوته أن الفرق ظاهر بين النبي الصادق وبين الذين ادعوا النبوة في وقته، مثل مسيلمة الكذاب، وسجاح، والأسود العنسي، فكلامهم متناقض، وسيرتهم سيئة، فعلم الناس كذبهم، فلم يحصل لهم قبول، وانفض الناس عنهم سريعا.

وبناء عليه فمُدعي النبوة إما أن يكون أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين.[1]

قال ابن تيمية رحمه الله: الكذاب لا يتم أمره، وذلك أن الله حكيم، لا يليق به تأييد الكذاب على كذبه من غير أن يتبين كذبه.[2]

---

١ انظر كتاب (براهين الرسالة – البراهين العقلية على نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم)، ص ٣٨، تأليف أحمد بن غانم الأسدي، ط آفاق المعرفة.

٢ (الجواب الصحيح لمن حرف دين المسيح)، (٤١٩/٦).

دلائل النبوة العقلية

الدليل السادس: كثرة الداخلين في دينه وشدة تمسكهم به

***

- من الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أن دينه الإسلام أسرع أخذا بقلوب أتباعه من أي دين آخر، فهو الأسرع انتشارا، وهذا بالرغم من حملات تشويهه، وذلك بحسب الإحصائيات الغربية في مواقعهم الرسمية كموقع اليونسكو.

***

- ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أن دين الإسلام هو الأشد تمسكا به مِن قِبل أتباعه، فالذي يدخل فيه لا يخرج منه، لأنه دين الاقتناع القلبي، فيبقى الإيمان في القلب صلبا، وقد جاءت الإشارة إلى وصف النبي (صلى الله عليه وسلم) بالحجر الذي هو رمز الصلابة، ففي سفر المزامير (المزمور ١١٨: ٢١ –٢٢) (طبعة الفاندايك) قال النبي داود عليه السلام واصفا أخاه النبي محمدا (صلى الله عليه وسلم):
(أحمدك لأنك استجبت لي، وصرت لي خلاصا. الحجر الذي **رفضه البناءون** قد **صار رأس الزاوية**).

والحجَر الذي رفضه البناءون هو محمد (صلى الله عليه وسلم)، رفض البناءون وضعه في عهد النبيين موسى وعيسى (عليهما السلام)، لأن النبوة لم تكتمل بهما، فلما جاء محمد (صلى الله عليه وسلم) اكتمل البناء بوضع هذا الحجر.

وهذه البشارة قد تحققت فعلا، وفيها إشارة إلى استجابة الله لدعاء النبي داود.

ومن اللطيف أن هذه البشارة بالفرح والتعجب جاءت بمعناها في العهد الجديد، فقد جاء في إنجيل متَّى (٢١: ٤٢-٤٣): «قال لهم يسوع: أمَا قرأتم قطُّ في الكتب: الحجَر الذي **رفضه البناءون** هو قد صار **رأس الزاوية** من قِبَلِ الربِّ. كان هذا **عجيبًا** في أعيننا. لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله يُنزع منكم، ويُعطى لأمةٍ تعمل أثماره».

فالحاصل أن دين الإسلام هو الأشد تمسكا به مِن قِبل أتباعه.

ومن اللطيف ذكره في هذا السياق أن هرقل ملك الروم فطِن لهذه المسألة، فإنه سأل أبا سفيان عن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، وكان أبو سفيان في رحلة تجارة إلى الشام، فسأله عنه: (فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟)، فقال أبو سفيان: بل ضعفاؤهم.

فقال هرقل: (أيزيدون أم ينقصون؟) فقال: بل يزيدون.

فقال: هل يرتد أحدٌ منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فقال: لا.

ولما فرغ هرقل من سؤال أبي سفيان جملة من الأسئلة عن النبي (صلى الله عليه وسلم)؛ بيَّن له أسباب تلك الأسئلة والحكمة منها، لأن هرقل عنده علم عن النبي (صلى الله عليه وسلم) بناء على ما جاء في صحف أهل الكتاب التي بأيديهم في وصفه، فقال هرقل لِلتَّرْجُمَانِ الذي بينه وبين أبي سفيان:

قُلْ له: سَأَلْتُكَ عن نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أنَّه فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ، فَكَذلكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ في نَسَبِ قَوْمِهَا.

وسَأَلْتُكَ هلْ قَالَ أحَدٌ مِنكُم هذا القَوْلَ، فَذَكَرْتَ أنْ لَا، فَقُلتُ: لو كانَ أحَدٌ قَالَ هذا القَوْلَ قَبْلَهُ، لَقُلتُ رَجُلٌ يَأْتَسِي بقَوْلٍ قيلَ قَبْلَهُ.

وسَأَلْتُكَ هلْ كانَ مِن آبَائِهِ مِن مَلِكٍ، فَذَكَرْتَ أنْ لَا، قُلتُ فلوْ كانَ مِن آبَائِهِ مِن مَلِكٍ، قُلتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أبِيهِ.

وسَأَلْتُكَ، هلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بالكَذِبِ قَبْلَ أنْ يَقُولَ ما قَالَ، فَذَكَرْتَ أنْ لَا، فقَدْ أعْرِفُ أنَّه لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الكَذِبَ علَى النَّاسِ ويَكْذِبَ علَى اللَّهِ.

وسَأَلْتُكَ أشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أمْ ضُعَفَاؤُهُمْ، فَذَكَرْتَ أنَّ ضُعَفَاءَهُمُ اتَّبَعُوهُ، وهُمْ أتْبَاعُ الرُّسُل.

وسَأَلْتُكَ أيَزِيدُونَ أمْ يَنْقُصُونَ، فَذَكَرْتَ أنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وكَذلكَ أمْرُ الإيمَانِ حتَّى يَتِمَّ.

وسَأَلْتُكَ أيَرْتَدُّ أحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أنْ يَدْخُلَ فِيهِ، فَذَكَرْتَ أنْ لَا، وكَذلكَ الإيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ القُلُوب.

وسَأَلْتُكَ هلْ يَغْدِرُ، فَذَكَرْتَ أنْ لَا، وكَذلكَ الرُّسُلُ لا تَغْدِرُ.

وسَأَلْتُكَ بما يَأْمُرُكُمْ، فَذَكَرْتَ أنَّه يَأْمُرُكُمْ أنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ ولَا تُشْرِكُوا به شيئًا، ويَنْهَاكُمْ عن عِبَادَةِ الأوْثَانِ ، ويَأْمُرُكُمْ بالصَّلَاةِ والصِّدْقِ والعَفَافِ.

فإنْ كانَ ما تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ[1]، وقدْ كُنْتُ أعْلَمُ أنَّه خَارِجٌ، لَمْ أكُنْ أظُنُّ أنَّه مِنكُمْ[2]، فلوْ أنِّي أعْلَمُ أنِّي أخْلُصُ إلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ ، ولو كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عن قَدَمِه.[3]

***

- ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أن الذين أسلموا إنما أسلموا طوعا لا كراهية، قال العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى»:

والممتنعون من الدخول في الإسلام من أهل الكتابين وغيرهم جزءٌ يسير جدًّا بالإضافة إلى الدَّاخلين فيه منهم، بل **أكثر الأُمم دخلوا في الإسلام طوعًا ورَغْبَةً واختيارًا، لا كرهًا ولا اضطرارًا**، فإن الله – سبحانه وتعالى – بعث محمدًا (صلى الله عليه وسلم) رسولًا إلى أهل الأرض، وهم خمسة أصناف، قد طبَقوا الأرض: يهود، ونصارى، ومَجُوسٌ، وصَابِئَة، ومشركون. **وهذه الأصناف هي التي كانت قد استولت على الدنيا من مشارقها إلى مغاربها.**

فأمَّا اليهود؛ فأكثر ما كانوا باليمن وخَيْبَر والمدينةِ وما حولها، وكانوا بأطراف الشام مُسْتَذَلِّين مع النَّصارى، وكان منهم بأرض فارس فرقة

---

١ وقد حصل هذا فعلا في عهد عمر رضي الله عنه.

٢ أي لم يكن يظن أنه من العرب، من بني إسماعيل، ظن أنه سيكون من بني إسرائيل.

٣ رواه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣)، واللفظ للبخاري.

مستذلَّة مع المجوس، وكان منهم بأرض المغرب فِرْقَةٌ، **وأعزَّ** ما كانوا بالمدينة وخيبر، وكأن الله سبحانه قد **قطَّعهم في الأرض أُممًا وسلبهم المُلْكَ والعِزَّ**.

وأمَّا النصارى؛ فكانوا طَبَقَ الأرض، فكانت الشَّام كلُّها نصارى، وأرضُ المغرب كان الغالب عليهم النصارى، وكذلك أرض مِصْرَ والحَبَشَةِ والنُّوْبَةِ والجزيرة والمَوْصِل وأرضِ نَجْرَانَ وغيرها من البلاد.

وأما المجوس فهم أهل مملكة فارس وما اتَّصل بها.

وأمَّا الصَّابِئَةُ فأهلُ حَرَّانَ، وكثيرٌ من بلاد الروم.

وأما المشركون فجزيرةُ العربِ جميعُها، وبلادُ الهندِ، وبلاد التُّرك وما جاورها.

وأديان أهل الأرض لا تخرج عن هذه الأديان الخمسة، ودينُ الحُنَفَاءِ لا يُعرف فيهم البتَّة.

وهذه الأديان الخمسة كلُّها للشيطان، كما قال ابن عباس (رضي الله عنهما) وغيره: الأديان ستة، واحد للرحمٰن، وخمسة للشيطان.

وهذه الأديان الستة مذكورةٌ في آية **الفصل**، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ **يَفْصِلُ** بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد﴾ (الحج: ١٧)

فلما بعث الله رسوله (صلى الله عليه وسلم) استجاب له ولخلفائه بعده أكثرُ أهل الأديان **طوعًا واختيارًا، ولم يُكْرِه أحدًا قط على الدين**، وإنما كان يقاتل من يحاربه ويقاتله، وأما من سالمه وهادنه فلم يقاتله ولم

يُكْرِهْهُ على الدخول في دينه، امتثالًا لأمر ربّه -سبحانه -حيث يقول :﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (البقرة: ٢٥٦) وهذا نفيٌ في معنى النهي، أي لا تكْرِهُوا أحدًا على الدِّين.

نزلت هذه الآية في رجال من الصحابة كان لهم أولاد قد تهوَّدوا وتنصَّروا قبل الإسلام، فلما جاء الإسلام أسْلَمَ الآباءُ وأرادوا إكراهَ الأولاد على الدِّين، فنهاهم اللهُ -سبحانه- عن ذلك حتى يكونوا هم الذين يختارون الدخول في الإسلام.

والصحيح أَنَّ الآية على عمومها في حقِّ كلِّ كافرٍ، فلا يُكْرَهُونَ على الدخول في الدِّين.
ومَنْ تأمَّل سيرة النبيِّ (صلى الله عليه وسلم) تبين له أنه لم يُكْرِهْ أحدًا على دينه قط، وأنه إنما قاتل من قاتله، وأما من هَادَنَهُ فلم يُقاتِلْه مادام مقيمًا على هُدنته لم ينقض عهده، بل أمره الله تعالى أن يَفِيَ لهم بعهدهم ما استقاموا له، كما قال تعالى :﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾. (التوبة: ٧)
ولما قَدِمَ المدينةَ صالَحَ اليهودَ، وأقرَّهم على دينهم، فلما حاربوه ونقضوا عهده وبدؤوه بالقتال قاتلهم، فمَنَّ على بعضهم[١]، وأجلى بعضَهم، وقتل بعضهم.

---

١ من عليهم أي فك أسرهم بدون عِوض ومقابل.

وكذلك لما هادَن قريشًا عشر سنين لم يبدأهم بقتالٍ حتى بدؤوا هم بقتاله ونقضوا عهده، فعند ذلك غزاهم في ديارهم.

وكانوا هم يغزونه قبل ذلك، كما قصدوه يوم أُحُدٍ، ويوم الخَنْدَقِ، ويوم بَدْرٍ أيضًا، هم جاؤوا لقتاله، ولو انصرفوا عنه لم يقاتلهم.

والمقصود أنه (صلى الله عليه وسلم) لم يُكْرِهْ أحدًا على الدخول في دينه البتة، **وإنما دخل الناسُ في دينه اختيارًا وطوعًا؛ فأكثر أهل الأرض دخلوا في دعوته لما تبيَّنَ لهم الهدى وأنَّه رسولُ الله حقًّا.**

فهؤلاء أهل اليمن، كانوا على دين اليهوديَّة أو أكثرهم، كما قال النبي (صلى الله عليه وسلم) لمعاذٍ لما بعثه إلى اليمن: إنك ستأتي قومًا **أهل كتاب**، فليكنْ أوَّلَ ما تدعوهم إليه شهادةُ أن لا إله إلا الله" وذكر الحديث، **ثم دخلوا في الإسلام من غير رغبة[1] ولا رهبة.**

وكذلك مَنْ أسلم من يهود المدينة، وهم جماعة كثيرون غير عبد الله بن سلام، مذكورون في كتب السِّيَر والمغازي، لم يُسْلِموا رغبةً في الدنيا، ولا رهبةً من السيف، بل أسلموا في حال حاجة المسلمين وكثرة أعدائهم ومحاربة أهل الأرض لهم، بل تحمَّلوا معاداة أقربائهم وحرمانهم نفعهم بالمال والبدن، مع ضعف شوكة المسلمين وقلة ذات أيديهم، فكان أحدهم يعادي أباه وأمه وأهل بيته وعشيرته، ويخرج من الدنيا رغبة في الإسلام، لا لرياسة ولا مال، بل ينخلع من الرياسة والمال ويتحمل أذى

---

١ أي رغبة في الدنيا من مال ونحوه.

الكفار؛ مِنْ ضربهم وشتمهم وصنوف أذاهم، **ولا يصرفه ذلك عن دينه.**

فإنْ كان كثير من الأحبار والرُّهْبَان والقِسِّيسِينَ قد اختاروا الكفر، **فقد أسلم جمهور أهل الأَرض من فِرَقِ الكفَّار ولم يَبْقَ إلا الأقلُّ بالنسبة إلى من أسلم.**

فهؤلاء نصارى الشام **كانوا مِلء الشام، ثم صاروا مسلمين إلا النادر،** فصاروا في المسلمين كالشعرة السوداء في الثور الأبيض.

وكذلك المجوس كانت أمةً لا يُحْصِي عدَدَهُمْ إلا الله، فأطبقوا على الإسلام، لم يتخلَّفْ منهم إلا النادر، **وصارت بلادهم بلاد إسلام،** وصار مَنْ لم يُسْلِم منهم تحت الجزية والذلة.

وكذلك اليهود أسلم أكثرهم ولم يَبْقَ منهم إلا **شِرْذِمَةٌ قليلة مقطَّعة في البلاد.**

انتهى كلامه رحمه الله.[1]

- ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أنه لا يوجد إنسان استطاع عمل تغيير في مدة قياسية مثل محمد (صلى الله عليه وسلم)، فقد أحدث ثورة أخلاقية وروحية واجتماعية لم يستطعها أحد في التاريخ بمثل تلك السرعة المذهلة.

---

1 «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى»، ص ٢٧-٣٢، باختصار يسير، ط دار عالم الفوائد.

قال «الفونس دي لامارتين»، وهو كاتب وشاعر وسياسي فرنسي، عاش في الفترة ما بين (١٧٩٠م – ١٨٦٩م)، قال كما في كتابه (حياة محمد):

(وما من إنسان البتة في نهاية المطاف قدر على أن ينجز في وقتٍ قصير **ثورةً على الأرض أعظمَ ولا أبقى ممَّا أنجز هو**، إذ إن الإسلام ساد في أقل من قرنين كامل أنحاء جزيرة العرب، وبلاد فارس، وخراسان وما وراء النهر، والهند الغربية، والشام، ومصر، والحبشة، وعديد من الجزر بالبحر المتوسط، وإسبانيا.

فإذا كانت عظمة المقصد، وضآلة العدة، وضخامة النتيجة، هي مقاييس عبقرية الإنسان الثلاثة؛ فمَن يجرؤ أنْ يقارن –على الصعيد الإنساني– أيَّ عظيمٍ مِن عظماء التاريخ الحديث بمُحمَّد؟

إذْ إنَّ أبعدهم في الشهرة لم يَهُزَّ سوى أسلحةٍ وقوانين وممالك، ولمْ يؤسّس – إنْ كان أسَّسَ شيئًا– سوى قوةٍ مادية غالبًا ما انهارت قبل أن ينهار هو!

أمَّا محمَّد فإنه زلزل جيوشًا وتشريعات، وزرع ممالك، وهزَّ شعوبا وعروشًا وملايين البشر على ثلث اليابسة المسكونة، بلْ إنه هزَّ معابد وآلهة وأديانا وأفكارًا ومعتقدات وأرواحا، وطبع في تلك الأمة الإسلامية مَقْتَ الآلهة الزائفة، وحب الله الواحد المجرد). انتهى كلامه باختصار وتصرف.[١]

***

١ «مختارات من كتاب حياة محمد» ، ص ١٢٢–١٢٣، ترجمة د. محمد قوبعة، الناشر: مؤسسة البابطين ٢٠٠٦م – الكويت.

- ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أن الذين اتبعوه بعد موته أضعاف أضعاف الذين اتبعوه في حياته، وهذه دعوته قد مرت عليها القرون، وهي باقية مستمرة، ولم يقع هذا لكذاب مفترٍ.[1]

1 هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (١٩٩-٢٠٠)، باختصار يسير، لابن القيم رحمه الله.

دلائل النبوة العقلية

الدليل السابع: شهادات كتب أهل الكتاب وعلماؤهم ومفكريهم

***

- من الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم)؛ وجود البشارات به في التوراة والإنجيل، والكلام في هذا يطول جدا، فقد أُلِّف في هذا الباب كتب كثيرة وبلغات متعددة، ويكفي لمن أراد الاطلاع كتابة جملة (محمد في التوراة والإنجيل) في محرك البحث في شبكة المعلومات، وسيجد الكثير من المؤلفات.

***

- ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أن القرآن أخبر أهل الكتاب بأنه مذكور في كتبهم، وكان هذا مطابقا للواقع، لأنهم كانوا يُخفون هذا ويتكاتمونه.

***

- ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) ما طرحه هرقل عظيم الروم على أبي سفيان (من سادات قريش) من سؤالات عن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) لما سمع به، وقد تقدم ذكرها، وبيان فوائد لطيفة منها، وهذه الأسئلة تدل على أن هرقل توصل إلى أن العلامات على أن محمدا (صلى الله عليه وسلم) نبي من خلال الأخبار المدونة عنه في كتب أهل الكتاب (التوراة والإنجيل).

- ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أن اليهود جاءوا مهاجرين من الشام إلى المدينة يترقبون قدومه، بناء على الأخبار المذكورة في كتبهم عنه، فلما ظهر وعلموا أنه من بني إسماعيل كفروا به حسدا من عند أنفسهم، لأنهم كانوا يتوقعون أنه من بني إسرائيل.

- وقال ابن هشام في «السيرة»: قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمرو بْنِ حَزْم قَالَ: حُدثت عَنْ **صَفية بِنْتِ حُيَيّ بْنِ أَخْطَبَ** أَنَّهَا قَالَتْ: كُنْتُ أحَبَّ وَلَدِ أَبِي إلَيْهِ، وَإلَى عَمّي أَبِي يَاسِرٍ، لَمْ أَلْقَهما قَطُّ مَعَ وَلَدٍ لَهُمَا إلَّا أَخَذَانِي دُونَهُ، قَالَتْ: فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْمَدِينَةَ، وَنَزَلَ قُبَاء فِي بَنِي عَمرو بْنِ عَوْفٍ غَدَا عَلَيْهِ أَبِي[1]، حُيي بْنُ أَخْطَبَ، وَعَمّي أَبُو يَاسِرِ بْنِ أَخْطَبَ، مُغَلّسَيْن[2]، قَالَتْ: فَلَمْ يَرْجِعَا حَتَّى كَانَا مَعَ غُرُوبِ الشَّمْسِ. قَالَتْ: فأتَيا كَالَّيْن[3] كَسْلَانَيْنِ سَاقِطَيْنِ يَمْشِيَانِ الهوينَى[4]. قَالَتْ: فهَشِشْتُ إلَيْهِمَا[5] كَمَا كُنْتُ أَصْنَعُ، فَوَاَللَّهِ مَا التفتَ إلَيَّ وَاحِدٌ مِنْهُمَا، مَعَ مَا بِهِمَا مِنْ الغَمّ. قَالَتْ: وَسَمِعْتُ عَمّي أَبَا يَاسِرٍ وَهُوَ يَقُولُ لِأَبِي، حُيّ بْنِ

---

١ أي ذهب إليه.

٢ الغَلَس هو ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بنور الصباح. انظر «النهاية».

٣ كالَّين أي مثقلين، انظر «النهاية».

٤ أي يمشي على هون.

٥ أي فرحت واستبشرت، انظر «النهاية».

أخْطَب: **أَهُوَ هُوَ؟** قَالَ: **نَعَمْ وَاللَّهِ**، قَالَ: **أَتَعْرِفُهُ وتُثْبته؟** قَالَ: **نَعَمْ**، قَالَ: فَمَا فِي نفسِك مِنْهُ؟ قَالَ: **عداوتُهُ والله ما بَقِيتُ**. انتهى.[1]

***

- ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أن نَصَارَى الشَّامِ لَمَّا رَأوا الصحابة بعد فتح الشام وبسط النفوذ الإسلامي عليه، وَشَاهَدُوا هَدْيَهُمْ وَسِيرَتَهُمْ وَعَدْلَهُمْ وَعِلْمَهُمْ وَرَحْمَتَهُمْ وَزُهْدَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَرَغْبَتَهُمْ فِي الْآخِرَةِ؛ آمن أكثرهم اختيارًا وطوْعًا، وقَالُوا: مَا الَّذِينَ صَحِبُوا الْمَسِيحَ بِأَفْضَلَ مِنْ هَؤُلَاءِ.[2]

***

- ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أنه لو لم يكن نبيا لحذر منه الأنبياء، كما قال ابن كثير رحمه الله:

«ثم إنه قد انتشرت دعوته في المشارق والمغارب، وعمَّت دولةُ أمتِه أقطار الآفاق عمومًا ما لم يحصل لأمة من الأمم قبلها، فلو لم يكن محمد (صلى الله عليه وسلم) نبيًا لكان ضرره أعظم من كل أحد، ولو كان كذلك لحذَّر

---

١ والقصة مروية في «دلائل النبوة » لأبي نعيم الأصفهاني، رقم ٣٧، تحقيق قلعه جي. ورواها البيهقي في «دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة» (٥٣٣/٢)، ط دار الكتب العلمية.

2 قاله ابن القيم في (إغاثة اللهفان)، في خاتمة فصل: (ومن تلاعب الشيطان بعباد الصليب).

عنه الأنبياء أشد التحذير، ولنَفَّروا أممهم منه أشد التنفير، فإنَّ جميعهم قد حذروا من دعاة الضلالة، ونَهَوْ أممهم عن اتِّباعِهم والاقتداء بهم، ونصُّوا على المسيح الدجال، حتى نوح – وهو أول الرسل – قد أنذر قومَه منه.[1] ومعلوم أنه لم ينص نبي من الأنبياء على التحذير من محمد (صلى الله عليه وسلم)، ولا التنفير عنه، ولا الإخبار عنه بشيء **خلاف مدحه، والثناء عليه، والبشارة بوجوده، والأمر باتِّباعه، والنهى عن مخالفته، والخروج عن طاعته**».[2] انتهى.

قلت: أضف إلى ذلك أنه (صلى الله عليه وسلم) لم يأتِ مُكذبا لمن قبله من الأنبياء مُزرِيًا عليهم، كما يفعل الملوك المُتغلبة على الناس بمن تقدَّمهم من الملوك، بل جاء مصدقا لهم، شاهدا بنبوتهم، ولو كان كاذبا مُتقوِّلًا مُنشِئًا مِن عنده سياسةً؛ لم يُصدِّق مَن قَبله، بل كان يُزري بهم ويطعن عليهم كما يفعل أعداء الأنبياء.[3]

***

---

١ انظر «صحيح البخاري» (٣٣٣٧) عن ابن عمر رضي الله عنهما ، والبخاري أيضا (٣٣٣٨) ومسلم (٢٩٣٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٢ بتصرف يسبر من «البداية والنهاية » لابن كثير، كتاب دلائل النبوة، باب المسائل التي سئل عنها رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، الناشر: دار ابن كثير – دمشق.

٣ استفدت هذه الفائدة من ابن القيم رحمه الله من كتابه «إغاثة اللهفان» (١١٣٦/٢) ، تحقيق: محمد عزير شمس ، الناشر: دار عالم الفوائد – مكة.

- ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أنه أثنى عليه المفكرون والمستشرقون والمؤرخون والفلاسفة الغربيون والشرقيون، ودوّنوا أقوالهم في كتبهم المطبوعة، وأشهر هؤلاء هم[1]:

١. ألفونس دي لامارتين، حياة محمد، ترجمة: د. محمد قوبعة، إصدارات مؤسسة البابطين ٢٠٠٦م.
٢. اللورد بودلي، حياة محمد، دار مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٤م.
٣. تولستوي، حِكم النبي محمد، مكتبة النافذة، القاهرة ٢٠١٠م.
٤. جورج برنارد شو، محمد أعظم الرسل، ترجمة: محمد عبد الشافي القوصي، دار الفجر للنشر، ٢٠١١م.
٥. كارن أرمسترونج، سيرة النبي محمد، ترجمة: د. فاطمة نصر، سلسلة سطور، القاهرة ٢٠٠٦م.
٦. نبيل بباوي (مصري)، عبقرية محمد، دار البباوي للنشر، القاهرة ٢٠٠٧م.
٧. نصري سلهب (لبناني)، في خطى محمد، الكتاب العربي، بيروت ١٩٧٠م.
٨. نظمي لوقا (مصري)، محمد الرسالة والرسول، مكتبة غريب، القاهرة ٢٠٠٤م.

---

١ استفدت هذه القائمة من كتاب «محمد مشتهى الأمم»، ص ٣٦٥ – ٣٦٦، للباحث محمد عبد الشافي القوصي، جزاه الله خيرا، فقد استفدت من كتابه المذكور كثيرا.

٩. آنا ماري شميل، حياتي الغرب شرقية، دار الكتاب العربي، دمشق، ١٩٩٨م.
١٠. توماس كارليل، الأبطال، ترجمة: محمد السباعي، إصدارات هيئة قصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٩م.
١١. جوستاف لوبون، حضارة العرب، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨م.
١٢. رودي بارت، الدراسات الإسلامية في الجامعات الألمانية، ترجمة: صالح فريد، دار النشر العربية، ١٩٨٦م.
١٣. زيجريد هونكه، قوافل عربية في رحاب القيصر، الزهراء للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١م.
١٤. فيليب حتي (لبناني)، الإسلام منهج حياة، دار الفكر المعاصر، دمشق، ١٩٩٤م.
١٥. مايكل هارت، الخالدون مئة أعظمهم محمد، المكتب المصري الحديث، القاهرة ٢٠٠٤م.
١٦. مجدي مرجان، الله واحد أم ثالوث، مكتبة النافذة، القاهرة ٢٠٠٥م.
١٧. محمد عبد الشافي القوصي، محمد في شعر النصارى العرب، منشورات منظمة الأيسيسكو ٢٠١١م.
١٨. مكارم الغمري، مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩١م.
١٩. موريس بوكاي، القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، دار الحرم للتراث، القاهرة ٢٠١٠م.
٢٠. هانز كونج، الإسلام طريق الأمل، دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٧م.

- ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أنه أثنى عليه ما يزيد على ثلاثين شاعرا مسيحيا عربيا، وهم[1]:

١. الأخطل التغلبيّ (٦٤٠ – ٧١٠ م) في قصيدته التي عارضَ فيها قصيدةَ كعبِ بنِ زهير.

وفي العصرِ الحديثِ برز عددٌ وافرٌ من الأدباءِ والشُّعراءِ المسيحيين، أمثال:

٢. خليل مطران (١٨٧٢ – ١٩٤٩ م) – لبناني
٣. إيليا أبي ماضي (١٨٨٩ – ١٩٥٧م) – لبناني
٤. الشاعر القرويّ، رشيد سليم الخوري (١٨٨٧ – ١٩٨٤م) – لبناني
٥. جبران خليل جبران (١٨٨٣ – ١٩٣١م) – لبناني
٦. عبد الله الخوري، المعروف بالأخطلِ الصغير (١٨٨٥ – ١٩٦٨م) – لباني
٧. جورج صيدح (١٨٩٣ – ١٩٧٨م) – سوري
٨. ميشال المغربي (١٩٠١ – ١٩٧٧م) – سوري
٩. شبلي الملاط (١٨٧٥ – ١٩٦١م) – لباني
١٠. نقولا فياض (١٨٧١ – ١٩٣٠م) – لبناني
١١. وصفي قرنفلي (١٩١١ – ١٩٧٢م) – سوري

---

١ استفدت هذه القائمة من كتاب «محمد مشتهى الأمم»، ص ٣٤٩، للباحث محمد عبد الشافي القوصي، جزاه الله خيرا، فقد استفدت من كتابه المذكور كثيرا. وبعدما سرد الشيخ القوصي أسماء هؤلاء الشعراء سرد طائفة من أشعارهم وأحال إلى كتاب له متخصص في هذا الموضوع وهو: «محمد في شعر النصارى العرب»، من منشورات منظمة الأيسسكو ٢٠١١م.

١٢. محبوب الخوري الشرتوني (١٨٥٥ – ١٩٣١م) – لبناني
١٣. حسني رشيد غراب (١٨٩٩ – ١٩٥٠م) – سوري
١٤. إلياس طعمة (١٩٠٣ – ١٩٤٧م) – لبناني
١٥. نصر سليم عيسى سمعان (١٩٠٥ – ١٩٦٧م) – سوري
١٦. إلياس فاعور (توفي قبل ١٩٤٢م) – لبناني
١٧. نقولا حنا (١٩٢٣ – ١٩٩٩م) – عاش بين فلسطين وسورية
١٨. ناصيف أيوب الحسيني (١٩١٢ – ١٩٩٦م) – لبناني
١٩. الأب نيفون سابا (١٨٩٠ – ١٩٦١م) – لبناني
٢٠. يوسف حنا العيد (١٨٩٩–١٩٦٧م) – سوري
٢١. جميل الخوري (١٨٨٥ – ١٩٦٨م) – لبناني
٢٢. مارون عبود (١٨٨٦ – ١٩٦٢م) – لبناني
٢٣. إلياس قنصل (١٩١١ – ١٩٨١م) – سوري
٢٤. سعيد جريس العيسى (١٩١٧–١٩٩١م) – فلسطيني
٢٥. جاك صبري شماس (١٩٤٧ – ٢٠١٧م) – سوري
٢٦. ميخائيل خير الله ويردي (١٨٦٨ – ١٩٤٥م) – سوري
٢٧. رياض المعلوف (١٩١٢–٢٠٠٢م) – لبناني
٢٨. عبد الله يوركي حلاق (١٩١١–١٩٩٦م) – سوري
٢٩. يوسف أبي رزق (١٩١٢–١٩٩٧م) – لبناني
٣٠. إلياس فرحات (١٨٩٣–١٩٧٦م) – لبناني
٣١. حليم دموس (١٨٨٨–١٩٥٧م) – لبناني

دلائل النبوة العقلية

الدليل الثامن: تصديق القرآن لنبوة محمد (صلى الله عليه وسلم)

***

- من الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أنه لو كان فعلا مدعيا للنبوة ومخترعا للقرآن لما ابتدأ القرآن بكلمة هو لا يحسنها وهي ﴿اقرأ﴾، بل لابتدأ بكلمة من مواطن قوته، وليس بما لا يقدر عليه، إذ مِن المعلوم أن محمدا كان أميا، لا يقرأ ولا يكتب، فلما ابتدأ الوحي عليه بكلمة (اقرأ) وهو لا يقرأ؛ دل هذا على أن لا يختار ما يريد تبليغه للناس، ولا يخترع من عنده، بل يبلغ ما أوحي إليه بدون تغيير.[1]

***

- ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أنه لو كان فعلا مدعيا للنبوة ومخترعا للقرآن لما جاء فيه الآيات التي تعاتبه وتربيه، كقول الله تعالى: ﴿يا أيها النبي **لِم تحرم ما أحل الله لك** تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم﴾.[2]

---

١ انظر كتاب (براهين الرسالة – البراهين العقلية على نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم)، ص ٤٩، تأليف أحمد بن غانم الأسدي، ط آفاق المعرفة.

٢ سورة التحريم: ١ .

وكقول الله تعالى: ﴿**وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه**﴾.[1]

وكقول الله تعالى: ﴿عفا الله عنك **لم أذنت لهم** حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾.[2]

وكقول الله تعالى: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة **فمن نفسك**﴾.[3]

والمعنى: ما أصابك من خير فمن الله، وما أصابك من شر **فبسبب ذنوبك**، والوقفة هنا: لو كان محمد مخترعا للقرآن وليس نبيا؛ هل يمكن أن يوجه لنفسه مثل هذا الخطاب القوي؟!

وكقول الله تعالى: ﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت **ليحبطن عملك** ولتكونن من **الخاسرين**﴾.[4]

وكقول الله تعالى: ﴿يا نساء النبي من يأتِ منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا﴾.[5]

والتعليق على هذه الآيات كلها: هل لو كان القرآن من تأليف محمد، وكان مدعيا للنبوة؛ فهل يمكن أن يوجه لنفسه كل هذه العتابات، وكل هذه الزواجر، ثم يحث الناس على قرائتها، ثم يرتب الأجر والثواب على ذلك؟![6]

---

١ سورة الأحزاب: ٣٧ .

٢ سورة التوبة: ٤٣ .

٣ سورة النساء: ٧٩ .

٤ سورة الزمر: ٦٥ .

٥ سورة الأحزاب: ٣٠ .

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك **وإن لم تفعل فما بلغت رسالته** والله يعصمك من الناس﴾، ففي الآية زجر له إن لم يبلغ رسالة ربه.

***

- ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أنه لو كان فعلا مدعيا للنبوة ومخترعا للقرآن لما جاء فيه الآيات التي **تفصل التهم الموجهة إليه**، لأنه بهذا سيقلل من قدر نفسه، كاتهامه بالجنون، وقد ورد ذكر توجيه هذه التهمة إليه عدة آيات، واتهامه السحر، والكذب، وأنه ساحر، وأنه يصدق كل ما قيل له.

هل لو كان القرآن من تأليف محمد، وكان مدعيا للنبوة؛ فهل يمكن أن يكشف للناس التهم الموجهة إليه، ثم يحث الناس على قرائتها، ثم يرتب الأجر والثواب على ذلك؟![1]

***

- ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أنه لو كان فعلا مدعيا للنبوة ومخترعا للقرآن **لذكر فيه الوقائع الشخصية الصعبة التي حصلت له**، أعظمها وفاة عمه أبي طالب، الذي كان يحوطه وينصره، ووفاة

---

٦ انظر كتاب (براهين الرسالة – البراهين العقلية على نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم)، ص ١١٠، ١٣٦.

١ انظر المرجع السابق، ص ١١١.

زوجته خديجة (رضي الله عنها)، وقد ماتا في عام واحد، وكذلك وفاة جميع أولاده وبناته في حياته إلا فاطمة، فقد ماتت بعده بستة شهور، فكل هذا حصل له ولم يأتِ ذكره في القرآن، لأن القرآن ليس من إملاءه، ولو كان من إملاءه لظهر ذلك كما يظهر من جميع الكتاب.[1]

***

- ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أنه لو كان فعلا مدعيا للنبوة ومخترعا للقرآن **لأظهر نفسه فيه وافتخر**، وعند التأمل في القرآن الكريم نجد أنه لا يوجد ذكر لقبيلة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، وهي قبيلة قريش، ولا توجد سورة تحمل اسم (بني هاشم) وهي الأسرة (الفخذ) التي ينتمي إليها، أو (بني عبد المطلب)، وهو جده الأقرب.

كما لا توجد سورة تحمل اسم (آمنة بنت وهب) والدته، ولم يذكر القرآن اسم أحد من بناته ولا أحد من أصحابه الأقربين، وإنما الأسماء التي تكررت هي أسماء الأنبياء إبراهيم وموسى **وعيسى** وغيرهم كثير.

قال أحد المهتدين إلى الإسلام واسمه جوزيف: (فكم أثر على نفسي هذا الأمر، فعرفت أن القرآن لا يمكن أن يكون من عند محمد نبي الإسلام كما يقال، وإلا لوضع سور لعائلته ولمحبيه).

بينما على الجانب الاخر نجد أسماء **آل المسيح** مذكورة في القرآن، قال جوزيف: (وذُهلت حين وجدت أن في القرآن الكريم سورة باسم **آل عمران**، وهي اسم عائلة المسيح عليه السلام، ثم تبين لي أن لفظة (آل)

---

١ انظر المرجع السابق.

كلمة تخاطَب بها العائلات الكريمة الطيبة، كما تبين لي أن هذه السورة هي ثاني أطول سورة في القرآن الكريم).

كما يجد القارىء الكريم أن اسم غيره من الأنبياء ذُكر أضعاف ما ذكر اسم (محمد)، فقد ذكر اسم محمد أربع مرات، بينما ذكر اسم نوح ٤٣ مرة، وذكر اسم إبراهيم ٦٣ مرة، وذكر اسم موسى ١٣٣ مرة، وذكر اسم النبي (عيسى) في القرآن خمسًا وعشرين مرة، كما ورد ذكره باسم (المسيح) ٩ مرات، وورد ذِكر عيسى (عليه السلام) في القرآن بعِدَّة ألقاب ومسمَّيات وهي: عيسى ابن مريم، ابن مريم، المسيح، عبد الله، رسول الله.

كما ورد ذكر اسم أمه (مريم) ٣١ مرة في القرآن، بينما لم يُذكر في القرآن اسم واحدة من بنات النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) أو زوجاته.

فهذه كلها براهين على أن محمدا (صلى الله عليه وسلم) لا يختار ما في القرآن، ولا يخترعه، بل يبلغ الناس هذا القرآن الذي أوحي إليه كما هو، وكفى به دليل على نبوته محمد (صلى الله عليه وسلم).[1]

- ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أن القرآن الكريم الذي جاء به مُعجِزٌ للبشر من عشرة وجوه[2]، وهذا دليل على أنه من عند الرب، سبحانه وتعالى، وهذه هي وجوه الإعجاز العشرة:

---

١ انظر المرجع السابق، ص ١١٢.

٢ قولي إنها عشرة ليس على سبيل التحديد، ولكن بحسب ما يسر الله الوقوف عليه، وربما كانت هناك وجوه أخرى، فالله تعالى أعلم، وانظر للاطلاع وجوه إعجاز القرآن الكريم العشرة كما ذكرها القرطبي رحمه الله في مقدمة كتابه «الجامع لأحكام القرآن»، باب: ذكر نكت في إعجاز القرآن، وشرائط المعجزة وحقيقتها.

الوجه الأول: بيانه وفصاحته، فالقرآن الكريم نزل على العرب بلغتهم، وفي زمان بلغوا فيه الذِّرْوَةَ في الفصاحة والبلاغة والبيان وحسن نظم الشعر، فظنوا في أول الأمر أنهم يستطيعون الإتيان بمثله فقالوا ﴿لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين﴾[1]، فنزل القرآن بتحديهم على ثلاثة مراحل ؛ الأولى أن يأتوا بمثله[2]، والثانية أن يأتوا بعشر سور مثله[3]، والثالثة أن يأتوا بسورة مثله[4]، فعجِزوا مع شدة حرصهم على مغالبة القرآن وقوة فصاحتهم، فقطع الله طمعهم إلى قيام الساعة في قوله تعالى ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾[5].[6]

قال ابن تيمية رحمه الله:

والقرآن آيته باقية على طول الزمان من حين جاء به الرسول، تُتلى آيات التحدي به ويتلى قوله ﴿فليأتوا بحديثٍ مثله إن كانوا صادقين﴾ و ﴿فأتوا

---

١ سورة الأنفال: ٣١ .

٢ سورة الطور: ٣٣ – ٣٤ .

٣ سورة هود: ١٣ .

٤ سورة البقرة: ٢٣ .

٥ سورة الإسراء: ٨٨ .

٦ وانظر أيضا ما قاله الشنقيطي رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين﴾ (سورة يونس: ٣٧).

بعشر سورٍ مثله﴾ و ﴿بسورةٍ مثله وادعوا من استطعتم من دون الله﴾، ويُتلى قوله ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً﴾، فنفس إخبار الرسول بهذا في أول الأمر[1] وقطعِه بذلك مع علمه بكثرة الخلق دليل على أنه كان خارقاً يُعجز الثَّقَـلين[2] عن معارضته، وهذا لا يكون لغير الأنبياء.

ثم مع طول الزمان قد سمِعه الموافق والمخالِف، والعرب والعجم، وليس في الأمم من أظهرَ كتاباً يقرأه الناس وقال إنه مثله، وهذا يعرفه كل أحد، وما من كلام تكلم به الناس – وإن كان في أعلى طبقات الكلام لفظاً ومعنى – إلا وقد قال الناس نظيرَه وما يشبهه ويقاربه، سواء كان شعراً أو خطابة أو كلاماً في العلوم والحكم والاستدلال والوعظ والرسائل وغير ذلك، وما وُجِد من ذلك شيء إلا وَوُجِد ما يُشبهه ويُقاربه.

والقرآن مِما يَعلم الناس عربهم وعجمهم أنه لم يوجد له نظير مع حرص العرب وغير العرب على معارضته، فلفظُه آية، ونظمُه آية، وإخبارُه بالغيوب آية، وأمرُه ونهيُه آية، ووعدُه ووعيدُه آية، وجلالتُه وعظمتُه وسلطانُه على القلوب آية، وإذا تُرجم بغير العربي كانت معانيه آية، كل ذلك لا يوجد له نظير في العالم.[3]

قال مقيده عفا الله عنه:

---

١ أي في أول أمر نبوته.

٢ الثَّـقَـلين هما الإنس والجن.

٣ كتاب «النبوات»، ص ٥١٥ – ٥١٧ .

تحدى الله في سِتِّ آيات من القرآن جميع الإنس والجن أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو سورة منه أو آية منه فما استطاعوا، وهي:

١. ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا **بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ** وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

وتفسير الآية الكريمة كالتالي:

وإن كنتم في شَكٍّ من القرآن الذي نَزَّلناه على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وتزعمون أنه ليس من عند الله، فهاتوا سورة تماثل سورة من القرآن، واستعينوا بمن تقدرون عليه مِن أعوانكم، إن كنتم صادقين في دعواكم.

٢. ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا **بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ** وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾.

وتفسير الآية الكريمة كالتالي:

أم يقول الكفار الذين لا يؤمنون بأن القرآن من عند الله: إن هذا القرآن افتراه محمد من عند نفسه؟ فقل لهم أيها الرسول: فأتوا أنتم بسورة واحدة من جنس هذا القرآن في نظمه وهدايته، واستعينوا على ذلك بكل مَن قَدَرْتم عليه من دون الله من إنس وجن، إن كنتم صادقين في دعواكم.

بل سارَعوا إلى التكذيب بالقرآن أول ما سمعوه قبل أن يتدبروا آياته، وكفروا بما لم يحيطوا بعلمه من ذكر البعث والجزاء والجنة والنار وغير ذلك من الأمور التي لم يأتهم بعدُ حقيقة ما وُعِدوا به في الكتاب.

وكما كذَّب المشركون بوعيد الله كذَّبت الأمم التي خلت قبلهم، فانظر أيها الرسول كيف كانت عاقبة الظالمين، فقد أهلك الله بعضهم بالخسف، وبعضهم بالغرق، وبعضهم بغير ذلك.

٣. ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا **بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ** مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

وتفسير الآية الكريمة كالتالي:

بل يقول هؤلاء المشركون من أهل "مكة": إن محمدًا قد افترى هذا القرآن، فقل لهم: إن كان الأمر كما تزعمون فأتوا بعشر سور مثله مفتريات، وادعوا من استطعتم من جميع خلق الله ليساعدوكم على الإتيان بهذه السور العشر، إن كنتم صادقين في دعواكم.

٤. ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا **بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ** لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾.

وتفسير الآية الكريمة كالتالي:

قل يا محمد للذين لا يؤمنون بأن القرآن كلام الله: لو اتفقت الإنس والجن على محاولة الإتيان بمثل هذا القرآن المعجز لا يستطيعون الإتيان به، ولو تعاونوا وتظاهروا على ذلك.

٥. ﴿أم يقولون تـقـوَّله بل لا يؤمنون * فَلْيَأْتُوا **بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ** إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾.

وتفسير الآية الكريمة كالتالي:

أم يقول هؤلاء المشركون إن محمدا اختلق القرآن من تلقاء نفسه؟

بل هم لا يؤمنون، فلو آمنوا لم يقولوا ما قالوه. فليأتوا بكلام مثل القرآن إن كانوا صادقين في زعمهم أن محمدًا اختلقه من عنده.

٦. ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن **يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ** وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وتفسير الآية الكريمة كالتالي:

وما كان يتهيَّأ لأحد أن يأتي بهذا القرآن مِن عند غير الله، لأنه لا يقدر على ذلك أحد من الخلق، وفي هذا القرآن بيان وتفصيل لما شرعه الله لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، ولا شك في أن هذا القرآن موحىً من رب العالمين.

فائدة

مما يدل على بطلان مقولة إن محمدا صلى الله عليه وسلم افترى هذا القرآن؛ أن محمدا لم يجالس علماء ولا شعراء في فترة ما قبلَ القرآن، ولم يكن يحفظ الشعر في فترة ما قبل القرآن ولا بعدها، فمِن أين له نظم هذا القرآن الذي أعجز العرب والعجم بنظمه وأسلوبه؟

ومن أين له معرفة الأخبار التاريخية التي تضمنها القرآن وقد عُلِم أن بلده مكة لم تكن فيها مدارسُ تُدرَّسُ فيها تلك الأخبار؟

ومِن أين له معرفة الأمور العلمية المذكورة في القرآن التي لم تكتشف إلا في الزمن الحاضر بعد مرور أربعة عشر قرنا على نزول القرآن؟

ومن ذلك مراحل خلق الإنسان في بطن أمه، وتكوين الجبال والبحار وغيرها من الأمور الطبيعية.

فائدة – التوراة والإنجيل لا يُجزم بأنها معجزة في لفظِها

لا يُجزم بأن التوراة والإنجيل مُعجزة من حيث اللفظ والنَّظم كالقرآن، فهذا يرجع إلى اللغة التي أنزِل بها وهي العبرانية، وإنما هي مُعجزة لما تضمنته من المعاني، كالإخبار عن الغيوب، وما فيها من الهدى والنور، وما فيها من الإخبار بنبوة محمد (صلى الله عليه وسلم).[1]

الوجه الثاني من وجوه إعجاز القرآن: أنه **ليس فيه عوج لا من جهة الألفاظ ولا من جهة المعاني،** قال الشنقيطي رحمه الله في تعليق له على قوله تعالى ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً﴾:

أي: لم يجعل فيه اعوجاجاً كائناً ما كان، لا من جهة الألفاظ ولا من جهة المعاني، فألفاظه في غاية الإعجاز والسلامة من العيوب والوصمات، ومعانيه كلها في غاية الكمال، أخباره صدق، وأحكامه عدل ﴿وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً﴾ أي: صدقاً في الأخبار، وعدلاً في الأحكام.[2]

---

١ انظر كتاب «النبوات» (٥١٩).

٢ «الرحلة إلى أفريقيا»، ص ١٨ .

ثالثا: ومن وجوه إعجاز القرآن **حِفظه من التحريف على مر العصور والدهور**، ووجه الإعجاز أنه لم يُحفظ كتابٌ من الكتب السماوية كما حُفِظَ هذا الكتاب، وصدق الله ﴿إنا نحن نزلنا الذِّكر وإنا له لحافظون﴾[1].

رابعا: ومن وجوه إعجاز القرآن **حُسْنُ ما تضمنه القرآن من تشريعات وأحكام**، تصلح لجميع البشر ولجميع الأزمنة والأمكنة، وتشمل جميع ما يصلح العباد في دنياهم وآخرتهم، في العقيدة والشريعة والآداب والاقتصاد والسياسة وغيرها، وجعله مستغنٍ عن غيره من القوانين والدساتير.

خامسا: ومن وجوه إعجاز القرآن **صِدقُ الأخبار التي تضمنها**، سواء التي مضت، أو التي تحصل تَبَعًا مع مرور الزمن أثناء تَنَزُّل القرآن، أو الآيات التي فيها ذكر بعض الأمور المستقبلية، **فأما الأخبار التي مضت** فهي كالإخبار عن خلق السماوات والأرض، وقصة آدم وإبليس، ثم قصص الأنبياء السابقين مع أقوامهم، وقصة صاحب الجنتين، وقصة أصحاب الكهف وذي القرنين، وغيرها، جاءت كل هذه الأخبار على لسان نبي أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة.

وتَضَمَّن القرآن كذلك ذكر بعض الأحكام الواردة في التوراة، وبيان كتمان أحبار اليهود لها، حتى تحداهم القرآن بقوله ﴿قل فأتوا بالتوراة إن كنتم صادقين﴾[2].

---

١ سورة الحجر: ٩ .

٢ سورة آل عمران: ٩٣ .

وأما الآيات التي نزلت تَبَعًا مع التنزيل وظهر صدقها فكالآيات التي نزلت لكشف أحوال المنافقين، والآيات التي فيها إجابة على أسئلة، كالآيات التي تَصَدَّرها قولُه ﴿ويسألونك﴾ ونحوها، وكذا المواقف التي كشفت عن صدق الله وعدِه لنبيِّه بالنصر في الحروب، وغير ذلك.

وأما الآيات التي فيها أخبار ما سيأتي في المستقبل فوقعت مطابقة لما أخبر فكدخول المسجد الحرام، وهي في آخر سورة الفتح.

وأيضا قوله تعالى ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾[1]، فقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم أن عمر لما نزلت هذه الآية قال: أيُّ جمعٍ يُهزم؟

فلما كان يوم بدر رأيت النبي (صلى الله عليه وسلم) يَثِبُ في الدِّرع ويقول: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾.

وفي رواية لابن أبي حاتم: فعرفتُ تأويلها يومئذ.

وكذلك الآيات التي فيها تقرير عجز الناس عن أن يأتوا بآية مثل آيات القرآن، فعجز الناس فعلا، وكالآيات التي تقرر حفظ الله لكتابه، كقوله تعالى ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾، فوقع الأمر كما أخبر، فكم من ملحدٍ حاول إبطال صدق القرآن وعجِز، وكالآيات التي تقرر حصول العزة والكرامة والسيادة والظهور للأمة الإسلامية إن استقامت على أمر الله، فوقع الأمر كما أخبر الله في القرون الثلاثة المفضلة الأولى وما بعدها، قال تعالى ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات **ليستخلفنهم في الأرض كما**

---

١ سورة القمر: ٤٥ .

استخلف الذين من قبلهم ولَيمكنن لهم دينهم الذين ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا﴾[1]، ثم لما فشا فيهم الشرك والبدع، والبعد عن منهج السلف الصالح في العقيدة والشريعة والسلوك ؛ صاروا في ذيل الأمم، وتسلطت عليهم الأمم الأخرى، واحتلوا بلادهم قرونا من الزمن[2].

ومن دلائل صدق القرآن ما جاء فيه من ذكر بعض الأمور العلمية، ثم لما ظهرت الاكتشافات العلمية الحديثة وقعت مطابقة لما أخبر، فمراحل تكوين الإنسان في بطن أمه – مثلا – قد تحدث عنه القرآن قبل أربعة عشر قرنا، بينما لم يَهتدِ علماءُ الطب إلى مراحل ذلك التكوين إلا في العقود المتأخرة من هذا الزمان.

---

١ سورة النور: ٥٥ .

٢ تعمدت هنا ذكر جملة (واحتلوا بلادهم قرونا) بدل (واستعمروا بلادهم قرونا)، والفضل في هذا الاختيار يعود للعلامة السلفي محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله، فقد انتقد كلمة (الاستعمار)، فقال ما معناه إن مادة هذه الكلمة هي (العمارة)، ومن مشتقاتها التعمير والعمران، كما قال الله تعالى ﴿هو الذي أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾، والذي وقع من الإفرنج في تلك الحقبة الزمنية هو الخراب لا العمران، فإنهم خرّبوا الأوطان والأديان والعقول والأفكار والمقومات، وتركوا آثارا وبصمات سيئة بعد انسحابهم من البلاد التي احتلوا وهيمنوا عليها، ومع الأسف فالمصطلح المستعمل بين المسلمين بعد انسحابهم وإلى الآن هو الاستعمار، وهذا خطأ لفظي واضح. انظر «آثار الإبراهيمي» (٥٠٦/٣ – ٥٠٧).

وبيان ذلك أن القرآن الكريم بين أن حياة الإنسان في بطن أمه تمر **بخمس** مراحل، قال تعالى في مطلع سورة المؤمنون:

﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * **ثم** جعلناه نطفة في قرار مكين * **ثم** خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة **فخلقنا** المضغة عظاما **فكسونا** العظام لحما **ثم** أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين * ثم إنكم بعد ذلك لميتون * ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾.

فأصل الخلقة هو الأساس، لما خلق الله أبانا آدم عليه السلام من طين، وفي هذا يقول الله تعالى ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾.

وأما المراحل الخمس التدريجية لتكون الإنسان في بطن أمه فهي مرحلة النطفة ثم العلقة ثم المضغة ثم العظام ثم اللحم فوق العظام.

فقوله: ﴿خلقنا النطفة علقة﴾ أي دمًا أحمر.

وبعد أربعين يومًا تتحول العلقة إلى مضغة، أي قطعة لحم قَدْر المضغة التي يمضغها الإنسان في فمه.

ثم تتحول المضغة اللينة وتتحول خلقتها إلى عظام.

ثم تُكسى العظام لحمًا، ثم يُنشؤه الله خلقًا آخر بنفخ الروح فيه.

فتبارك الله الذي أحسن كل شيء خلقه.

والشاهد من هذا السَّرد لمراحل خلق الإنسان أن علم الطب الجديد اكتشف هذه المراحل كلها، ثم تفاجأ بأنه هذه المراحل مذكورة في القرآن منذ أربعة

عشر قرنا، فاستــدلوا من هذا على أن القرآن كلام الله، لا يمكن أن يكون الذي أتى به بشر، فسبحان من بهر بحكمته العقول.

وكذا الأمر بالنسبة لتكوين البحار والجبال وغيرها، فقد جاء ذكر تكوينها الطبيعي في القرآن، وبعد ظهور المكتشفات الحديثة وقعت مطابقة لما أخبر به.

وقد أُلِّفَت في مطابقة الاكتشافات العلمية لما جاء به القرآن مؤلفات كثيرة، وأسلم بسبب هذا التطابق عددٌ ليس بالقليل من علماء الطبيعة، ومن أراد التوسع في ذلك فليرجع إلى مطبوعات هيئة الإعجاز العلمي التابعة لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

سادسا: ومن وجوه إعجاز القرآن **تنوُّع العلوم التي احتواها**، فعلاوة على أن القرآن الكريم قد قرر العقيدة الصحيحة فيما يتعلق بصفات الله تعالى وأحقيته بالعبادة، وهَدَمَ أساطير الخرافة والتعلق بالمخلوقات ؛ فإنه لم يقتصر على هذا، فقد اغترف منه علماء النحو والبلاغة واللغة الشيء الكثير، بل هو المعيار الأساس لضبط علومِهم.

فتنوُّع العلوم هذه كلها تدل على أن النبي (صلى الله عليه وسلم) صادق فيما يُبَلِّـغُه عن ربه، فإنه من المستقر المعلوم عند قومه أنه أُمِّيٌّ، لا يقرأ ولا يكتب، فمن أين سيأتي بكل هذه الأخبار القرآنية لولا أنه يُوحى إليه من ربه؟ قال تعالى ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب

المبطلون * بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بها إلا المبطلون﴾[1].

سابعا: ومن وجوه إعجاز القرآن **تأثيره البليغ في النفوس**، سواء كانت نفوسا مؤمنة أو كافرة، وصدق الله ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله﴾[2]، وقوله ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾[3].

وقد تأثر بالقرآن بعض صناديد الكفر من قريش، ومن ذلك قصة الوليد بن المغيرة لما سمع القرآن، فقد روى ابن جرير في «تفسيره»[4] والحاكم في «مستدركه»[5] واللفظ له عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقرأ عليه القرآن، فكأنه رقَّ له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عمْ، إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالا.

قال: لِمَ؟

قال: ليعطوكَهُ، فإنك أتيت محمدا لتَعرِض لما قِبَلَه.[6]

---

١ سورة العنكبوت: ٤٨ – ٤٩ .

٢ سورة الحشر: ٢١ .

٣ سورة الزمر: ٢٣ .

٤ تفسير سورة المدثر، الآيات ١٨ – ٢٥ .

٥ (٥٠٧/٢).

٦ أي لتعرض نفسك لما عنده من مال، يريدون أنه طمِع بما عنده، فلهذا ذهب إليه.

قال: قد علِمَت قريش أني من أكثرها مالا.

قال: فقُل فيه قولا يبلُغ قومك أنك منكرٌ له، أو أنك كارهٌ له.

قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برَجزٍ ولا بقصيدةٍ مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يُشبه الذي يقول شيئا من هذا، ووالله إن لِقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطُلاوة[1]، وأنه لمثمرٌ أعلاه، مُغدِقٌ[2] أسفله، وإنه ليعلو وما يُعلى، وإنه لَيَحْطِمُ ما تحته.

قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه.

قال: فدعْني حتى أفكر.

فلما فكَّر قال: هذا سحر يؤثر، يَأثِره عن غيره[3]، فنزلت (ذرني ومن خلقت وحيدا﴾[4].

وأخرج ابن إسحاق في السيرة[5] والبيهقي في «الدلائل»[6] واللفظ له عن الزهري قال: حُدِّثتُ أن أبا جهل وأبا سفيان والأخنس بن شُريق خرجوا ليلة

---

١ أي رونقا وحسنا، وقد تفتح الطاء. انظر «النهاية».

٢ الغدَق هو الماء الكثير، وفي التنزيل (لأسقيناهم ماء غدقا)، والمقصود بالمُغدق في الكلام هنا هو كثرة خيره. انظر «لسان العرب».

٣ أي يرويه عن غيره.

٤ سورة المدثر: ١١ ، وتمامها: ﴿وجعلت له مالا ممدودا * وبنين شهودا﴾ الآيات، والمقصود بها الوليد بن المغيرة نفسه.

٥ كتاب «السيرة»، ص (١٦٩)، تحقيق محمد حميد الله.

ليستمعوا من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو يصلي بالليل في بيته، وأخذ كل رجل منهم مجلسا ليستمع فيه، وكُـلٌّ لا يعلم بمكان صاحبه، فباتُوا يستمعون له، حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر تفرَّقوا، فجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض: (لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا)، ثم انصرفوا، حتى إذا كان الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مـجلسه، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرَّقوا، فجمعـتهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة، ثم انصرفوا، فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعتهم الطريق، فقالوا: (لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود)، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا، فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد.

فقال: يا أبا ثعلبة، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها.

قال الأخنس: وأنا، والذي حلفتَ به.

ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فقال: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعت من محمد؟

قال: ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف في الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفَرَسَيْ

---

٦ باب جماع أبواب المبعث (٢/٢٠٦).

رِهان ؛ قالوا: (منا نبي يأتيه الوحي من السماء!)، فمتى ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه، فقام عنه الأخنس بن شريق. انتهى.

ولما سمع جُبير بن مطعم رضي الله عنه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقرأ سورة الطور فبلغ هذه الآيات ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ * أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُون﴾[1]، وكان جبير يومئذ مشركًا ؛ قال : كاد قلبي أن يطير، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي.[2]

ولما كان القرآن يتصف بهذا التأثير البليغ في النفوس ؛ تعاهد الكفار ألا يستمعوا للقرآن، كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾[3]، وما ذاك إلا لتأثيره في نفوسِهم، وإحساسهم به في أعماقهم، ولكنهم قوم يستكبرون عن سماع الحق.

وقد أثّر القرآن في بعض النصارى فآمنوا به، قال تعالى عنهم ﴿وإذا سمعوا ما أُنــزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبا مع الشاهدين﴾[4].

---

١ سورة الطور: ٣٥ – ٣٧ .

٢ رواه البخاري مفرقا، (٤٨٥٣، ٤٠٢٣).

٣ سورة فصلت: ٢٦ .

٤ سورة المائدة: ٨٣ .

أما المؤمنون فتأثير القرآن فيهم واضح، قال تعالى ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا﴾[1]، والكلام في هذا يطول، وهو موجود في مظانه، ويكفي في هذا ما ذكره جلال الدين السيوطي رحمه الله في كتابه «الإتقان في علوم القرآن»[2] أن جماعةً ماتوا عند سماع آيات من كتاب الله، وقد أفرَدَ أسماءهم في مصنف.

ثامنا: ومن وجوه إعجاز القرآن الكريم كونه **شفاء من الأمراض الحسية والمعنوية** (أي النفسية)، فأما الأمراض الحسية فقد حذر القرآن من جملة من المطعومات والمشروبات والسلوكيات على سبيل الوقاية من الأمراض، ومن ذلك تحريم شرب الخمر وأكل لحم الخنزير، وارتكاب الزنا واللواط، وكذا إتيان النساء في فترة المحيض.

وأما إذا أُصِيب الإنسان بمرض فقد أرشد النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى التداوي بقراءة سورة الفاتحة، كما أرشد القرآن إلى التداوي بالعسل، ﴿فيه شفاء للناس﴾[3].

وأما الأمراض النفسية فالقرآن هو أفضل الأدوية لها، بل إن سبب هذه الأمراض هو البعد عن القرآن، ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا﴾[4]، ومن تلك الأمراض القلق والاكتئاب والسحر والأخلاق الرديئة من

---

١ سورة الأنفال: ٢ .

٢ باب: النوع الرابع والستون في إعجاز القرآن.

٣ سورة النحل: ٦٩ .

٤ سورة طه: ١٢٤ .

طمع وكبر والانجراف وراء الشهوات وغير ذلك، وذلك أن هذه الأمراض تحصل نتيجة الخواء الروحي، وليس للخواء الروحي دواء إلا الرجوع إلى الله تعالى، وصدق الله ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾[1]، (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾[2]، (قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾[3]، (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء﴾[4].

وقد شفى الله بقراءة القرآن الألوفَ المؤلفة ممن أصيبوا بالأمراض العضوية والنفسية على مرِّ العصور، ولا يزال هذا يُشاهدُ ويُمارسُ، بل قد صار الاستشفاء بالقرآن مُقرَّرا في بعض العيادات النفسية.

تاسعا: ومن وجوه إعجاز القرآن **يُسرُ حفظِه عن ظهر قلب** لمن أراد ذلك، خلافا لغيره من الكتب، فقد حُفِظ القرآن كاملا في صدور الملايين من الناس منذ عصر النبوة إلى يومنا هذا، وقد حفظه من هو من المكفوفين، كما حفظه من هو من الأعاجم الذين يتكلمون اللغة العربية إلا قليلا، فسبحان من بهر بكتابه العقول، وسيستمر حفظه في صدور الناس إلى نهاية الدنيا.

وهذا الوجه من وجوه الإعجاز لم – ولن – يحصل لغيره من الكتب إطلاقا.

---

١ سورة الرعد: ٢٨ .

٢ سورة الإسراء: ٨٢ .

٣ سورة يونس: ٥٧ .

٤ سورة فصلت: ٤٤ .

عاشرا: ومن وجوه إعجاز القرآن أنه **أكثر الكتب تلاوة على وجه الأرض، مع الوضع في الاعتبار أنه مترجم إلى نحو ثمانين لغة حتى كتابة هذه الأسطر، ومنشور ورقيا وإلكترونيا.**

دلائل النبوة العقلية

أدلة متنوعة من ٩-٣٠

٩. من الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أنه دعا إلى عبادة الله وحده، ولم يدعُ لشيء من حظوظ نفسه، وأفنى عمره في ذلك، كما صبر على ما صاحب ذلك من شدة العيش، والأذى من قومه، حتى لقي ربه.

فلو لم يكن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) نبيا لما فعل ذلك، لأن جميع العظماء (ممن هم ليسوا أنبياء) ما فعلوا الذي فعله.

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله:

مجرد نظر المنصف إلى ما جبل الله رسوله صلى الله عليه وسلم عليه من الأخلاق، وإلى أحكام دينه وكماله، وإلى عظمة القرآن وما احتوى عليه من المعجزات؛ **يضطره إلى تصديقه وإلى الخضوع لدينه وشرعه**.[١]

***

١٠. ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أن التعاليم التي جاء بها كلها حسنة، فهي تدعو إلى إصلاح العقيدة فيما يتعلق بالله والملائكة والأنبياء والكتب المنزلة من الله، واليوم الآخر، وإصلاح العقيدة في فَهم ما يُقَدِّره الله على العباد.

---

١ «أصول عظيمة من قواعد الإسلام»، القاعدة الثانية، وتقع في «مجموع مؤلفات الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي» (٣١٨/٦)، الناشر: وزارة الأوقاف القطرية.

كما أن التعاليم التي جاء بها تحث على محاسن الأخلاق وإصلاح العلاقة بين أفراد المجتمع، فتأمر ببر الوالدين وصلة الأرحام، وحسن العلاقة بين الزوجين وأفراد الأسرة، وحسن التعامل مع الجيران وكبار السن، والسمع والطاعة لولاة الأمر، والعفو عن المسيء، وغير ذلك مما يجعل العلاقات حسنة ومتينة بين أفراد المجتمع، وتجعل الحياة جميلة وسعيدة.

فلو لم يكن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) نبيا لما جاء بهذه التعاليم، لأن إعدادها واختراعها فوق طوق البشر، ولم يفعلها البشر أصلا ممن هم ليسوا بأنبياء.

***

١١. ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أن الآيات الدالة على نبوته متنوعة، منها ما كان قبل ميلاده، ومنها ما كان بعد ميلاده، ومنها ما كان في حياته، ومنها ما كان بعد وفاته، ومنها ما يعرف بالعقل، ومنها ما يعرف بالحس، ومنها ما يعرف بالخبر.[١]

***

١٢. ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أن الآيات الدالة على نبوته كثيرة، أما الآيات الدالة على نبوة غيره من الأنبياء محدودة، فهي تسع في حق المسيح عليه السلام، وهي أنه كان يكلم الناس في المهد، وأن الله

---

١ انظر كتاب (براهين الرسالة – البراهين العقلية على نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم)، ص ٢٧، تأليف أحمد بن غانم الأسدي، ط آفاق المعرفة.

علمه التوراة والإنجيل، وأنه يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله، ويبرىء الأكمه (وهو الذي وُلِد أعمى) والأبرص، بإذن الله، ويُخرج الموتى من قبورهم أحياء بإذن الله، وأنه كان ينبِئُ الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، ثم معجزة المائدة التي سأل المسيح ربه أن ينزلها من السماء، ويسبق هذه المعجزات ميلاده من أم بلا أب، وتُختم برفعه إلى السماء معززا مكرما، قد حماه الله من مكيدة قتل اليهود له.

وكذلك الأمر في حق موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات﴾، وقال: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾، والآيات هي العصا، واليد، أي يده يضعها في جيبه فتخرج بيضاء كالثلج من غير بَرَص، والسِّنون وهي الجدب الذي أصاب قوم فرعون بسبب تكذيبهم، ونقص الثمرات عليهم، والطوفان، والجراد، والقُمَّل، والضفادع، والدم فكان أحدهم إذا أراد أن يشرب تحوَّل ذلك الماء دمًا.

وقد أوتي موسى عليه السلام آيات أخر كثيرة، منها ضربه الحجر بالعصا، وخروج الأنهار منه، ومنها تظليلهم بالغمام، وإنزال المن والسلوى، وغير ذلك مما أوتوه بنو إسرائيل بعد مفارقتهم بلاد مصر.[1]

***

١٣. ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أنه لم يسر على النظام الاجتماعي والسياسي والديني لعشيرته، بل أتى بنظام جديد مستمد في

---

1 قاله ابن كثير رحمه الله في تفسير آية الإسراء: ١١١ .

الحقيقة من شريعة رب العالمين، فلو لم يكن نبيا لما غير طريقة قومه، بل لاعتز بها وثبتها.

***

١٤. ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) ما تميزت به شريعته من خصائص، والتي تبلغ الستين خصيصة، والتي لا يساميها شي، فشريعة بهذه الميزات لا يمكن أن تأتي من جهة بشرية، بل من جهة ربانية.[1]

***

١٥. ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) **كمال شريعته**، فلم يبق معروف تعرف العقول السليمة أنه معروف إلا أمر به، ولا مُنكر تعرف العقول السليمة أنه مُنكر إلا ونهى عنه.

وتوضيح ذلك أنه لم يأمر بشيء فقيل: (ليته لم يأمر به)، ولم ينه عن شيء فقيل: (ليته لم ينه عنه).

كما أن شريعته جمعت محاسن ما قبلها من الشرائع، فلم يُذكر في التوراة والإنجيل والزبور نوع من الخير في العقائد والشرائع والسلوكيات إلا وقد جاءت به الشريعة الإسلامية على أكمل الوجوه.[٢]

---

1 انظر كتاب (خصائص الشريعة الإسلامية)، لمؤلفه: ماجد بن سليمان الرسي، وهو منشور في شبكة المعلومات.

٢ انظر كتاب (براهين الرسالة – البراهين العقلية على نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم)، ص ٥٨، تأليف أحمد بن غانم الأسدي، ط آفاق المعرفة.

١٦. ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أن الذين بادروا بتصديقه والإيمان به هم الأباعد عنه في الغالب، ولم يكونوا من أفراد عشيرته، **فلو كان محمد مدعيا للنبوة لبادر للإيمان به عشيرته لينالوا الشرف**، ولكن الأمر لم يكن كذلك.

وإيمان الأباعد لا يكون إلا عن تصديق تام، وليس عن تعصب، لأن التعصب يكون من أفراد القبيلة وليس ممن سواهم.

***

١٧. ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أن الذي بادروا بتصديقه واتباعه هم من الفقراء والأغنياء، وإن كان الفقراء أكثر، والأشراف والعبيد، ولم يكونوا من نوع واحد من الناس، وهذا من دلائل نبوته، لأنه لو لم يكن نبيا لتبعته ناس من نوع واحد على الأغلب.

***

١٨. ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أن الذي بادروا بتصديقه واتباعه لم يتبعوه لرغبة فيما عنده، أو رهبة منه، لأنه لم يكن عنده مال ليرغبوا فيه، ولا سيف ليخافوه، فعُلِم أن اتباعهم له كان عن تصديق تام.

***

١٩. ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أن النجاشي ملك الحبشة آمن به ولم يره، وهرقل عظيم الروم كاد أن يؤمن به لولا تخذيل البطارقة له.

٢٠. ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أن أمته أكمل الأمم في كل فضيلة، فإذا قيس علمهم بعلم سائر الأمم فعلمهم أكثر وأقوم، ليس فيه تمسك بالغلط.

وإن قيست عباداتهم لله فعباداتهم أكثر من غيرهم من الأمم.

وإن قيس صبرهم وجهادهم وبذلهم للمال وتحملهم للأذى في سبيل نشر دين الله؛ فهم في هذا السبيل أكثر من غيرهم من الأمم.

وإن قِيس بذلهم وسخاؤهم وسماحة نفوسهم وطيبة قلوبهم بغيرهم من الأمم؛ فهم في هذا السبيل أكثر من غيرهم من الأمم.

وهم في نيل هذه الفضائل تعلموها من النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وحده، فلم يتعلموها من أنبياء سابقين، ولا كتب منزلة قبله.

فإن الفضائل التي تعلمها أتباع المسيح عليه السلام قد أخذوها من التوراة والإنجيل والزبور.

ثم جاء المتأخرون من أتباع المسيح فأدخلوا فلسفة اليونان في دينهم فغيروا دين المسيح، وتحول إلى دين وثني، يعبدون الصور، كما هو مشاهد الآن.

أما أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) فلم يكونوا يقرءون كتابا قبله، بل إن عامتهم ما آمنوا بالأنبياء قبله إلا من جهة تعليم نبيهم لهم، وهو محمد (صلى الله عليه وسلم).

***

٢١. ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أن عشيرته (بنو عبد المطلب) كانوا شعراء، ذكورا وإناثا، إلا هو (عليه الصلاة والسلام)، فلم يكن شاعرا، ولم يكن يقول الشعر.

***

٢٢. ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أن الأديان السابقة موقتة لم يتكفل الله بحفظها، بل وكل حفظها للرهبان من بني إسرائيل، فلم يحفظوها، بل حرفوها، فحصل لها التغير والاضطراب، أما دين محمد فهو محفوظ كما هو، لم يتغير ولم يضطرب، فدل هذا على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم).

وقد جاء وصف علماء بني إسرائيل في مواطن كثيرة في العهدين القديم والجديد بالعميان[١]، وأولاد الأفاعي[٢]، ونسل فاعلي الإثم[٣]، وفاعلي الشر[٤]، وقتلة الأنبياء[٥]، ما ترتب على ذلك من التحريف والتغيير في دين النبيين موسى وعيسى ما الله به عليم.

---

١ انظر يوحنا (٩:٤٠).

٢ انظر متى (٢٣:٣٣).

٣ انظر المزامير (٩٤:٤).

٤ انظر إشعياء (١٤:٢٠).

٥ انظر الملوك الأول (١٩:١٠)، متى (٢٣:٣١)، (٢٣:٣٧).

أما الإسلام فمحفوظ كما هو غضا طريا، فليس فيه تثليث، ولا قرابين لغير الله، ولا صكوك غفران، ولا كراسي اعتراف، بل العلاقة في الإسلام مع الله وحده لا شريك له، هو الذي يسمع استغفار المستغفرين، ويغفر لهم.

***

٢٣. ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أن ملخص دعوة النبي محمد تدل على نبوته – عليه الصلاة والسلام،كحال من سبقه من الأنبياء، فهم دعوا لعبادة الله وحده، ودعوته كذلك، فهي امتداد لدعوتهم، وتجديد لها، لا تحيد عنها طرفة عين.

***

٢٤. ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أن الله عصمه من الناس حتى بلغ الرسالة، وقد وعده الله بذلك فقال: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته **والله يعصمك من الناس**﴾، وقد عصمه الله فعلا حتى بلغ الرسالة، ثم نزل عليه قول الله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾، ثم قضى الله قضاءه بالحق أن يموت بعدها بأربعة أشهر.

فلو قُتل النبي (صلى الله عليه وسلم) قبل تمام تبليغه للشريعة لدل هذا على عدم نبوته، لأنه سيكون قد مات قبل تحقق الآية بتبليغ الرسالة، لكنه في الحقيقة مات بعدما بلغ الرسالة، فأنزل الله قوله ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾، فتيقن الناس عندئذ من نبوته، والحمد لله.

***

٢٥. ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أنه أخبر أنه لا نبي بعده، وأن رسالته هي خاتم الرسالات، فوقع الأمر كما أخبر، تصديقا لقول الله تعالى ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله **وخاتم النبيين**﴾.

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا **خاتم النبيين**، لا نبي بعدي ... الحديث.[١]

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : إن مَثلي ومَثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لَبِنَة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويَعجبون له ويقولون: هلاَّ وُضِعت هذه اللَّبِنة؟ قال: فأنا اللَّبِنة، وأنا **خاتم النبيين**.[٢]

ومن اللطيف أنه قد ورد في إنجيل يوحنا ما يصدق هذا، ففي الإصحاح (١٤/١٦): (وسأطلب من الآب أن يعطيكم **مُعَزِّيا** آخر يبقى معكم إلى الأبد).

وهنا سؤال لطيف لليهود وللنصارى (المسيحيين) وهو: الآن وبعد مرور ثلاثة ألاف عام على مجيء موسى عليه السلام وألفي عام على مجيء المسيح عليه

---

١ رواه أبو داود (٤٢٥٢) وأحمد (٢٧٨/٥)، وصححه الألباني، وكذا محققو «المسند»، وقالوا: على شرط مسلم.

٢ رواه البخاري (٣٥٣٥) ومسلم (٢٢٨٦).

السلام؛ هل علينا أن ننتظر مدة مثلها لكي يظهر المعزي الحقيقي المذكور في البشارة غير محمد؟!

وبعبارة أخرى، إذا لم يكن المعزي المذكور هو محمد، فمن سيكون يا ترى، وقد مرت ألوف السنين ولم يظهر إلا هو؟![1]

***

٢٦. ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) دعوته الحسنة لملوك العالم للدخول في الإسلام، ليعصموا دمائهم وأموالهم، وهذا يدل على أنه نبي، وعلى أنه مبعوث لجميع الأمم، وليس ملكا متسلطا أو مدعٍ للنبوة.

ثم إنه كاتبهم على أنه نبي من عند الله، وليس ملكا على المسلمين أو عظيما على الجزيرة العربية، فكان يوقع على الرسائل بعبارة (محمد رسول الله).

***

٢٧. ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أنه **أوتي جوامع الكلم**، فكان يتكلم بالكلام الموجز، القليل اللفظ من الأدعية والتوجيهات ولكنها عند التفسير تعني الكثير، وهذا من آيات نبوته، ومن الإعجاز، ومن خصائصه، مما يجعل القارىء يتيقن أنه فاق العرب في فصاحته وبلاغته، وأن الحكم والوصايا التي خرجت من فمه لا يمكن أن تصدر عن غير نبي، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول:

---

١ انظر كتاب (براهين الرسالة – البراهين العقلية على نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم)، ص ١٤٤، تأليف أحمد بن غانم الأسدي، ط آفاق المعرفة.

بُعثت **بجوامع الكلم**، ونُصرت بالرعب، وبينا أنا نائم أُتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوُضِعت في يدي.[1]

قال البخاري رحمه الله: وبلغني أن جوامع الكلم أن الله يجمع الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد والأمرين أو نحو ذلك.[2]

وقال النووي رحمه الله في شرح الحديث: كلامه (صلى الله عليه وسلم) كان بالجوامع، قليل اللفظ، كثير المعاني.

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها قالت: ما كان رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) يسرِدُ سردَكم هذا، ولكنه كان يتكلمُ بكلامٍ يبينه، فصلٌ، يحفظُه من جلسَ إليه.[3]

وقد ألف الحافظ ابن رجب الحنبلي كتابًا جمع فيه خمسين حديثا من كلام النبي (صلى الله عليه وسلم) أسماه (جامع العلوم والحكم في شرح خميس حديثًا من **جوامع الكلم**)، وهو من أعظم الكتب والشروحات نفعًا وعلمًا.

***

١ رواه البخاري (٢٩٧٧) ومسلم (٥٢٣).

٢ رواه البخاري (٧٠١٣) ومسلم (٥٢٣).

٣ أخرجه جماعة منهم الترمذي (٣٦٣٩)، وهذا لفظه، وصححه الألباني.

ومن تلك الأحاديث البليغة عنه (صلى الله عليه وسلم) قوله: «إنَّما الأعمال بالنيَّات، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى».[1]

ومن الأحاديث البليغة التي ذكرها النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه لما قدم المدينة أقبل الناس عليه، وهم يقولون (قَدِم رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، قَدِم رسول الله، قَدِم رسول الله)، قال عبد الله بن سلام: فجئت في الناس لأنظر، فلما تبينتُ وجهَه، عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول شيء سمعته تكلم به: **يا أيها الناس، أفشوا السلام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام.**[2]

***

وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: اتقِ اللهَ حيثما كنتَ، وأتبِعِ السيئةَ الحسنةَ تَمْحُها، وخالِقِ الناسَ بخُلقٍ حَسن.[3]

***

١ رواه البخاري (١) ومسلم (١٩٠٧) عن عمر رضي الله عنه، واللفظ للبخاري، ولفظ مسلم: «إنما الأعمال بالنية».

٢ رواه ابن ماجه (٣٢٥١)، وصححه الشيخ شعيب.

٣ رواه أحمد (٢١٣٥٤) عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، وقال محققو «المسند»: حسن لغيره.

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: لا يُؤْمِنُ أحَدُكُمْ حتى يُحِب لأخِيهِ ما يُحِب لِنَفْسِهِ.[1]

***

وعن تميم الداري رضي الله تعالى عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الدين النصيحة.

قلنا: لِمَن؟

قال: للهِ، ولكِتابِه، ولرسوله، ولأئمةِ المسلمين وعامتِهم.[2]

***

ونختم هذا الباب بهذا القصة اللطيفة؛ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن ضِمادًا قدم مكة، وكان من أزدِ شنوءة، وكان يرقي من هذه الريح[3]، فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون إن محمدا مجنون، فقال: لو أني رأيت هذا الرجل، لعل الله يشفيه على يدي.

قال: فلقيه فقال: يا محمد، إني أرقي من هذه الريح، وإن الله يشفي على يدي من شاء، فهل لك؟

---

١ رواه البخاري (١٣).

2 رواه مسلم برقم (٥٥).

٣ قال النووي رحمه الله: المراد بالريح هنا الجنون ومس الجن ، وفي غير رواية مسلم: (يَرقي من الأرواح) أي الجن ، سموا بذلك لأنهم لا يبصرهم الناس ، فهم كالروح والريح.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، أما بعد.

قال: فقال: أعِد عليَّ كلماتك هؤلاء.

فأعادهن عليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثلاث مرات.

فقال: لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، ولقد بلغْنَ ناعوس البحر[1].

قال: فقال: هاتِ يدك أبايعك على الإسلام.[2]

***

تم الكلام على ذِكر بعض جوامع كَلِمِ النبي محمد (صلى الله عليه وسلم).

***

٢٨. ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أن دينه لم يتغير، والعقيدة التي جاء بها لم تتحطم، بالرغم من أن الأمة الإسلامية واجهت امبراطوريات جبارة كامبراطورية الروم وفارس، وواجهت الحروب الصليبية والاستعمارية، وحملات التنصير (والتي تسمى بالتبشير)، ومع هذا بقيت العقيدة الإسلامية صامدة لم تتغير، فلو لم يكن النبي محمد (صلى الله عليه

---

١ أي وسطه ولجته.

٢ رواه مسلم (٨٦٨).

وسلم) نبيا؛ لذابت عقيدته كما ذابت القوانين البشرية كما يذوب الملح في الماء وتبدلت إلى قوانين أخرى.

***

٢٩. ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أنه لم تعرف الدنيا إنسانا قُلِّدت أفعاله بمنتهى الدقة كما حدث لمحمد – صلى الله عليه وسلم، وقد شهد بهذا المؤرخ النصراني اللبناني (فيليب حته)[١].

وصدق هذا المؤرخ، فأفعاله وأقواله قد دونت تدوينا دقيقا في كتب السنة، المتعلقة بعباداته ومعاملاته وسلوكياته، سواء في السفر أو الحضر، بالليل أو النهار، منفردا أو مع أصحابه، في بيته أو في خارج بيته، قبل البعثة أو بعدها.

***

٣٠. ومن الدلائل العقلية على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أن آخر كلماته من الدنيا هي النصح لأمته، بالمحافظة على الصلاة، والعناية بالخدم، كما في قوله عليه الصلاة والسلام: الصلاة، وما ملكت أيمانكم.[٢]

---

١ نقله عنه الباحث محمد عبد الشافي القوصي في كتابه (محمد – صلى الله عليه وسلم – مشتهى الأمم الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل)، ص ١٠، الناشر: دار المعراج – دمشق.

٢ رواه ابن ماجه (١٦٢٥)، وأحمد (٦/٢٩٠)، عن أم سلمة رضي الله عنها، وصححه الألباني في «الإرواء» (٧/٢٣٨).

وحذر كذلك من الغلو في الدين المتمثل ببناء المساجد على القبور، فعن جندب بن عبد الله البجلي (رضي الله عنه) أنه قال: سمعت النبي (صلى الله عليه وسلم) قبل أن يموت بخمس[1] يقول: «... **ألا وإنَّ مَن كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصَالِحِيهم مساجد، ألا فلا تَتَّخِذوا القبورَ مساجدَ، إنِّي أنهاكم عن ذلك**»[2].

فهل ثمة دليل أوضح على نبوته (صلى الله عليه وسلم) من هذا الدليل؟!

فهو وفي سياق الموت يحث الناس على التمسك بأمور دينهم وينهاهم عن الانحراف، فهل يفعل ذلك إلا نبي؟!

***

تم الكتاب بحمد الله، وصلى الله وبارك على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

---

(١) أي: خمس ليال.

(٢) رواه مسلم (٥٣٢).

مَراجِعُ عِلميَّةٌ لِمَن أَرَادَ الاسْتِزَادَة والفَائِدة، وهِي مَنْشُورةٌ في شبكة المعلومات

١. سبع رسائل لطيفة لمحبي مريم العذراء وابنها المسيح ابن مريم

٢. سبعون دليلا إنجيليا على أن يسوع المسيح نبي ورسول ومُعَلِّم ومُبَشِّر ومُبَلِّغ ومرشد وإنسان وابن الإنسان ورجل

٣. ستون دليلًا على تكريم الإسلام لمريم العذراء، وابنها المسيح ابن مريم

***

٤. لماذا خلقنا الله؟

٥. الأصول الثلاثة التي يقوم عليها دين الإسلام

٦. الإسلام دين الفطرة

٧. أسماء الله الحسنى وصفاته العليا

٨. شعب الإيمان في شريعة الإسلام

٩. تعريف موجز بالكتاب المقدس – القرآن

١٠. سبع لمحات عن محمد

١١. البراهين العقلية على نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم (ثلاثون برهانا عقليا)

١٢. خصائص الشريعة الإسلامية – ٦٠ خصيصة

١٣. حقوق الإنسان في الإسلام – ١٦٠ حق

١٤. تسعون دليلًا على تكريم الإسلام للمرأة وحفظ حقوقها ومشاعرها

١٥. قصة هداية الكاردينال دانيال إلى الإسلام

١٦. موقف الإسلام من الإرهاب

١٧. مهلًا أيتها الدكتورة .... لا تسبي الإسلام

١٨. حقيقة بولس من كلام بولس – ١٠٠ حقيقة عن بولس

19. Eleven facts about Jesus

20. The Amazing Prophecies of Muhammad in the Bible

21. Who Deserves to be Worshipped?

الفهرس

مقدمة

الدليل الأول: تجافي النبي (صلى الله عليه وسلم) عن حظوظ النفس ومتاع الدنيا، وفيه خمس مسائل

الدليل الثاني: تحمل النبي (صلى الله عليه وسلم) لأنواع الأذى، ومقابلتها بالعفو والصفح

الدليل الثالث: البشارة بانتشار دينه، وقد تحققت

الدليل الرابع: سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) لا تنطبق إلا على نبي

الدليل الخامس: صدقه

الدليل السادس: كثرة الداخلين في دينه وشدة تمسكهم به

الدليل السابع: شهادات كتب أهل الكتاب وعلماؤهم ومفكريهم

الدليل الثامن: تصديق القرآن لنبوة محمد (صلى الله عليه وسلم)

أدلة متنوعة من ٩-٣٠